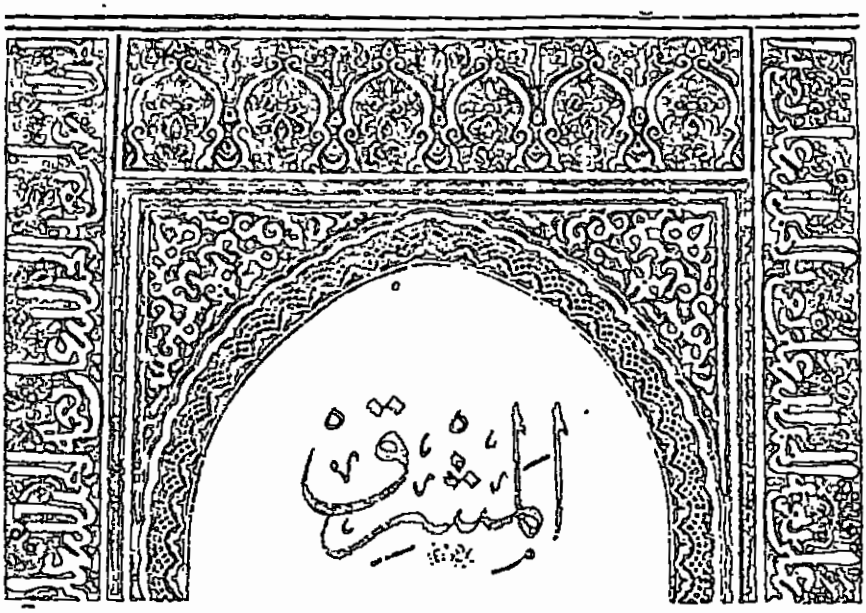

آذار ١٩٣١

مسألة الشرّ

نبذة فلسفية

للاب ارمند اودين من جمعية قلب يسوع*)

توطئة

اي يوم قامت تجاه العقل البشري مسألة الشر المزعجة ، فاخذ الانسان في حلها ؟ ألم يكن ذلك في اليوم عينه الذي دخلت فيه الخطيئة الى العالم ، مصحوبة بجملة الشرور التي لم يكن ليختبر الانسان منها شيئاً ، لو كان ثبت في البرّ والطاعة لخالقه ؟ أليس وقتئذٍ خطر على بال آدم هذا السؤال : لماذا نشاهد ، بل نكابد هذه البلايا ، ونتعرّض لهذه المصائب التي لا تزال تتناوب على تعذيبنا الى ان يدركنا ما نحسبه طبعاً اعظم الشرور وارهبها ، اي انحلال كياننا وعودة جسدنا الى التراب الذي اخذ منه؟

*) صحح عبارتها وعني بنشرها على صفحات هذه المجلة انفس اسطفان فرحات الراهب اللبناني .

ولماذا امتلأ هذا العالم مضادةً بين ما تشتهي الكائنات تحصيله من الكمال ، وما يحلّ بها من النقائص مع ما يحيط بها من عوامل الفساد والفناء ؟

ولم تزل عقول البشر مشغولة بهذه المسألة الى يومنا هذا ، وكثيرًا ما كتب فيها الفلاسفة على اختلاف مبادئهم ومذاهبهم ، ولا شك ان الوحي الالهي قد اتانا في هذه المسألة — كما في سائر المسائل الفلسفية العالية — بأثمن مساعدة لتفهم ماهية الشرّ فنميّز انواعه ، ونعلّل وجوده ، ونبحث عن اصوله . فقصدنا من هذه المقالة هو ان نجمع اهمّ ما يفيد القرّاء بهذا الصدد ، فنسهل بذلك مهمة من يجب عليهم ان ينيروا عقول المؤمنين في هذا الموضوع ، فيزيلوا من انفسهم كل ظنّ بان وجود الشرور ينافي حكمة الخالق وصلاحه ، ويدل على قصور قدرته ، او نقص عنايته . لان هذه الآراء الباطلة هي التي جلبت على كثيرين شرّ جميع الشرور ، اي فقدان الايمان ، والغرق في لجة اليأس والكفر .

غير ان البحث في اصول الشر وعلله يقلّ نفعه ، ان لم نتبين ما هو الشرّ ، وما هي انواعه . لذلك نقسم هذه المقالة الى قسمين : نبحث في الاول عن ماهيّة الشر وما يفيد تمييزه من انواعه . وفي الثاني عن اصول الشر ونسبته الى عناية الله مدبّر جميع الخلائق ومرتب احوالها وافعالها كافةً .

في ماهيّة الشر وانواعه

قد قلنا ان ابانا الاول ، آدم ، اخذ يتأمل في الشرّ يوم رأى نفسه فاقدًا ما كانت يد الله السخية قد زينته به من المواهب . ولكن اذا اعتبرنا ما كانت عليه احوال الكائنات التي اوجدها الله حول آدم قبل معصيته ، نضطر الى الاعتراف بان بعض الشرور كان في العالم ، حتى وفي الفردوس ايضًا حيث شاهده آدم ، فيحتمل كثيرًا انه سأل نفسه حينئذٍ ، كما نتساءل نحن اليوم : ما هي هذه النقائص ؟ ولماذا لم يصنع الله براياه متزّهة عنها ، بل كاملة من كل جهة ؟

فلايضاح ذلك اعتبر اولًا : ان الشر ليس سوى سلب الخير ، او الخلوّ

احدى الارزات القديمة

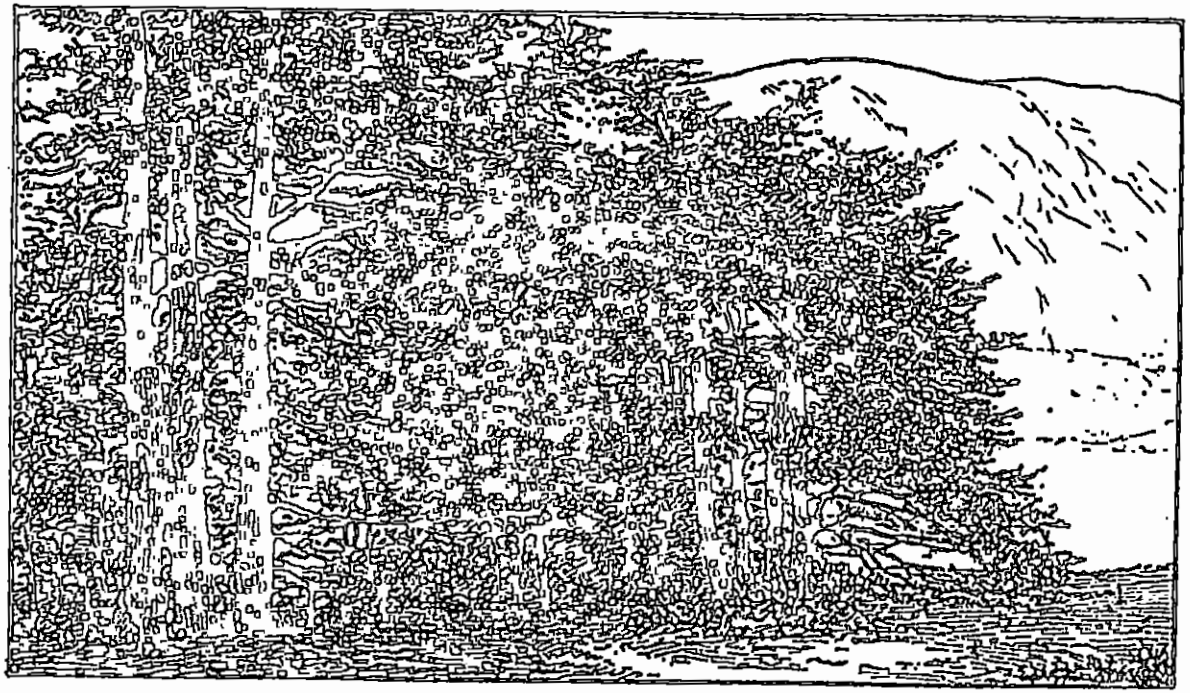

بعض ارزات حديثة

منه ، ولكن ليس كل خير يُدعى الخلوّ منه شرًا . بل ذلك الخير وحده الذي يُحسب ملائمًا لطبع الشيء الخالي منه ، ولازمًا لبلوغ غايته . فهما خلا الانسان من كمال الطبيعة الملائكية فلا يقال : ان هذا فيه شر . اما اذا فقد الرشد ، او صارت ارادته معوجة ، فلا شك في كون هذا شرًا . وعدم استطاعة الانسان على الطيران مثل العصفور ، او على الركض مثل الأيل ، ليس فيه شرّ . اما اذا اضحى اعمى ، او اصمّ ، او مخبلًا ، فلا يُرتاب في كون حالته هذه هي شرّ ، فحدّد من ثمّ الفلاسفة الشرّ قائلين : هو خلوّ الشيء مما يلزمه من الكمال . فكلما نقص كمالٌ او خيرٌ شيئًا تقتضيه طبيعته ليحصل على غايته ، قلنا : ان في ذلك الكائن شرًا .

تأمل في ما كان حال الفردوس الذي وضع الله آدم فيه ، كما في مسكن فخم معدّ له ، فانه كان هناك عدد عظيم من الحيوانات والنباتات على اختلاف انواعها ، وكانت الحيوانات ثمّ ، كما نراها اليوم ، محتاجة الى الاغتذاء بكل النباتات ، وكان يقتل بعضها بعضًا ؛ ولا شك ان النبات الذي يلتهمه الحيوان ، يصيبه نوع من الشرّ ، لان طبيعته كانت تطلب المحافظة على حياته وعلى سلامة اعضائه . وقل كذلك عن الحيوان الذي يهاجمه حيوان آخر اقوى او امكر منه ، فيتغلّب عليه ويقتله ليغتذي بلحمانه ، واذن فيظهر ان عالمنا هذا كانت فيه شرور دائمًا ، منذ خلق الله النبات والحيوان . ويتضح من ثمّ ان آدم علم شيئًا من الشرّ قبل سقطته الاولى .

تصوّر الآن ما جرى في عقل آدم ، لما سمع كلمة الله القائل له : « لا تأكل من شجرة معرفة الخير والشر ، فانك يوم تأكل منها موتًا تموت » (تكوين ٢ : ١٧) فاول شيء نستدلّ عليه من هذا الكلام ، هو ان آدم كان حينئذٍ يدرك معنى لفظة الشرّ ، واذن فلم يكن يجهل الشرّ . ثم لاحظ ، ايها القارئ اللبيب ، ان آدم فهم من الكلام عينه انه من باب الممكن ان يصير هو نفسه محلًا لبعض الشرور ، لا بل لاعظمها ، الذي هو الموت . ولكن هل انحصر في ذلك ما ابانه تهديد الله بالموت لآدم ، ان اكل من الثمر المحرَّم ؟ كلّا ، فانه تعالى نوى بكلامه هذا ان ينبّه آدم الى ما يصيبه من العقاب اذ

خالف ارادة مولاه . والعقاب لا يفهم ان لم يسبقه ذنب . فبان اذن لعقل آدم ، انه يمكن ان يعي تصرّفه في حرّية الارادة التي ازدانت بها طبيعته الناطقة ، فيعصي ربّه الاعظم صائرًا بذلك محلًا لشرّ جديد ، لم يكن بعدُ ظهر في الدنيا ، الا وهو الذنب او الشرّ الادبي ؟ نعم ان هذا الشر كان قبل ذلك الوقت ، قد ابتدأ بالوجود بين الملائكة ، فان آدم لم يعتقد الى ذنبه الا بتجربة واغراء من بعض الارواح التي سقطت بتمرّدها ، وهي الشياطين . ولكن لا شيء يدلنا على ان آدم قبل خطيئته علم حال الشياطين . ولهذا نقول انه ادرك طبع الشرّ الادبي ، كأمر ممكن الحدوث لا غير .

فترى من ذلك ان الشرّ تراءى لذهن آدم ، اولًا كحادث طبيعي ينتج لا محالة من ماهيات الاحياء التي يقتضي تنوّعها ان يحارب ويقاتل بعضها بعضًا ، وان يفني اقواها اضعفها ، وهذا هو الشر الذي نسميه شرًّا طبيعيًا . ثانيًا ظهر لعقل آدم ان ما شاهده من ذلك الشر في المجاورات ، مع ما يقترن به من الوجع ، يمكن ان يصيبه هو ايضًا ، وذلك بحكم من الله الذي يرتّب هذا الشرّ لمعاقبة الانسان ، إن أبى العبادة ، والطاعة الواجبتين عليه لالهه . فهذا هو الشرّ الطبيعي الحالّ في الخليقة الناطقة ، وهو بذاته غير مختلف عما هو في الخلائق الغير الناطقة . لكن هذه تتعرّض له بمجرّد طباعها والنظام الذي اقامه الله بين انواعها . اما الانسان فيصيبه هذا الشرّ على مقتضى العدل الالهي كتبعة لمعصية الانسان ، ولهذا يُدعى هذا الشر الطبيعي ، الذي اصبحنا له عرضةً بالخطيئة ، شرّ عقاب او قصاص . ثالثًا واهمّ ما انكشف لعقل آدم هو ماهية هذا الشر ، الذي لا يمكن حلوله ، الا في الخليقة الناطقة ، لقيامه بعدم خضوع الارادة المخلوقة الحرّة لارادة الخالق الاسمى ، وهو المعروف بالشرّ الادبي .

واذن فقد بيّنتُ لك بايجاز الكلام ، ما هو الشرّ على وجه العموم ، وكيف ينقسم الى انواع مختلفة ، وقد مرّ بك ان حقيقة الشرّ تقوم بخلوّ كائن من كمالٍ لازمٍ له . ثم ان بعض الشرور تحصل من نظام الطبيعة ، ومضادّة بعض انواع الكائنات للبعض الآخر ، وهو ما نسميه شرًّا طبيعيًا .

ويتميز عنه الشر الادبي ، الذي لا مبدأ له سوى ارادة الخليقة الناطقة ، وهو القائم بعدم خضوع هذه الارادة لمشيئة الله . ثم ان الشر الطبيعي كلما حلَّ في الخليقة الناطقة كعاقبةٍ للشر الادبي ، واصلاحاً للنظام الذي اخلَّت به الارادة ، يُدعى عقاباً او قصاصاً .

لكنه يفيد ان نزيد ايضاحاً لما يوجد من الفرق بين الشرَّين الطبيعي والادبي ، لنفهم لماذا اجمع ارباب علم اللاهوت على ان الشرّ الادبي يفوق الطبيعي فظاعةً بما لا حدَّ له ، بحيث يجب ان نفضل احتمال الشرور الطبيعية ، مهما كثرت وعظمت ، على الانقياد الى الشر الادبي باقتراف خطيئة مهما كانت خفيفة . فاعلم ان مبنى هذا الحكم يؤخذ من اعتبار نسبة المخلوقات الى الخالق . فانه تعالى هو نفسه الغاية القصوى التي تُرتَّب لها الخلائق قبل ، وفوق كل ما سواها . ومن ثمَّ أول خير يلزم وجوده في الخلائق هو انها تمجد باريها بانجاز مشيئته بالطريقة الملائمة للطبع الذي اعطاه لكل واحدة منها . وهذا ما تخالفه الخليقة الناطقة كلما كان فيها شيء من الشرّ الادبي . لان هذا الشر ينافي خضوع الارادة المخلوقة لمشيئة الله . وهذا الخضوع هو الطريقة المناسبة لطبع الكائن الناطق لتمجيد الخالق . واذن فان الخليقة الناطقة تفقد بكل شر ادبي ، اول خير يلزم وجوده فيها . وليس الامر كذلك في الشر الطبيعي ، فانه لا ينافي سوى بعض الخيرات الثانوية التي يكون خسرانها اكثر جوازاً واحتمالاً من عصيان الارادة المخلوقة على ارادة الله . ولهذا يحسب دائماً الشرّ الادبي اشنع وابعد عن الاحتمال من الشر الطبيعي ايًّا كان . وهكذا يحكم كل عاقل ان الشر الادبي ، دون ما سواه ، هو عيب وشين في حياة الانسان . وان شرفه وفضله يقومان باستعداده الثابت لايثار مكابدة انواع الشر الطبيعي كلها ، على ان يدنس نفسه بالشر الادبي .

وتكميلاً لما قيل في الشر الطبيعي ، لاحظ ان فيه درجات متفاوتة جداً كتفاوت اصناف الكمال ، التي تنافيها الشرور المختلفة ، فلا ترتاب مثلاً في الحكم ان فقدان الانسان رشده هو شر اعظم من خسارته ماله . لكون كمال العقل انفس من الغنى المادي باضعاف . وكذلك ان العمى في الانسان

هو شر اكبر مما هو في الحيوان ، لانه بقدر ما طبيعة الانسان هي اشرف من طبائع البهائم ، يكون خلوّها من بعض خواصها اشد مضادة لما ينبغي وجوده من الكمال في جملة المخلوقات . فيجوز اذن ان نقول ان شراً يحسب اعظم من غيره من وجهين : الاول اهمية الخير الذي ينفيه . ثانياً شرف الكائن الذي يخلو من بعض ما يقتضيه طبعه من الكمال .

ولا خفي ان المصنوعات هي ايضاً محلٌّ للشر . فانها قد تخلو من الكمال اللازم لبلوغ غايتها . كما لو كان بيت اضيق مما تستلزمه سهولة المعيشة فيه ، او كان قليل النور . فاننا لا نرتاب في القول ان فيه شراً . ولا يختلف هذا الشر الذي في المصنوعات عن ذلك الذي في الطبيعيات . فيدعى ايضاً شراً طبيعياً .

لكننا بكل ما تقدم لم نجاوب بعدُ على سؤال قد شغل كثيراً عقول المفكرين ، ألا وهو : هل للشر وجود حقيقي في الاشياء ؟ ام في عقلنا فقط ؟ ولا يعسر الجواب ، اذا اعتبرت ان الشر ليس سوى خلو كائن من الكمال الملائم له . فليس اذن الشر شيئاً حقيقياً ، بل نفي شيء حقيقي . وهو من باب الاشياء التي يتصورها عقلنا ، ويحملها على الموجودات ، غير ان حقيقتها كلها هي قائمة بسلب ، نحو العمى والصمم والجهل والجمود وما اشبه . وقد سمّى الفلاسفة مثل هذه الاشياء كائنات اعتبارية ، ولا شك في كون الشر من جنسها .

ولكن يحدث ايضاً ان اسماء بعض الاشياء تغيّر معناها ، فتنقل من مسماها الاول ، الى ما يشبهه او يحدثه او يرتبط به ، كما نراه في الالفاظ التي يدعوها ارباب المنطق مشككات او ملتبسات . هكذا اسم الشر فهو مشكك ، لانه ، زيادةً على معناه الاصلي المارّ ذكره ، قد يتخذ للدلالة على ما يتبعه لا محالة خلوّ كائن من الكمال اللازم له . هكذا نقول : ان كل غلط هو شر في العقل ، مع ان الغلط ليس هو خلو العقل من الكمال الملائم له ، اي معرفة الحق . لكن الغلط يرتبط بهذا الخلو بمعنى ان من يغلط في امر ما ، فلا يمكن ان يعرف الحق في الامر عينه . وكذلك يقال : ان الغضب الشديد هو شر

لانه ينافي هدوء النفس وصحو العقل ، مع ان الغضب ليس هو الخلوّ منهما ، ولكن هو اقبال نفس يتبعه لا محالة هذا الخلوّ ، فقس على ذلك سائر الصفات والحالات ، التي تلاحظ انها قد تسمّى شروراً مع انه يظهر انها لا تقوم بسلب بل بشيء وضعي.

٢

في اصول الشر

لا غرو اذا لقينا من الصعوبة والغموض ، في هذا الجزء ، ما لم نلقه في الاول ، فان اشياء عديدة نستطيع ادراك طباعها ووصف خواصها ، غير اننا نعجز عن اكتشاف مبادئها ، كمن يُشرف على نهر ويتتبع جريان مائه ، لكنه لا يرى قط نبعه ولا يدري اين هو.

واعلم ان الفلاسفة طالما لاحظوا ان الخلائق هي محلّ وعرضة للشر ، من حيث هي مُخرَجة من العدم ، فانها من هذه الحيثية تحصل على وجودها لا وجوباً بل حدوثاً ، وكما انه يمكن عدم وجودها كذلك يمكن خلوّها من بعض ما يختصّ بملء الوجود الذي يلائمها . وهذا اول جواب على السؤال : كيف تتعرّض الخلائق للشرّ ؟

اما حلول الشر بالفعل ، في بعض الكائنات ، فيبيّن الاختبار انه ينسب في الغالب الى فاعل او علة محدثه . وهذا يكون على نوعين تندرج تحتهما جميع العوامل التي تحدث شراً بتأثيرها :

النوع الاول : هو العلة الناقصة الفعل ، اي التي لا يكفي تأثيرها لترقية مفعولها الى درجة الكمال الملائمة لطبعه والمناسبة لغايته ، كالصانع الذي كلما قلّت مهارته في صناعته ، او نقص اجتهاده في ممارستها ، خلا مصنوعه من الكمال الواجب ، ويكون فيه شرّ . وكذلك قد ينسب جهل التلميذ الى عدم فطنة مهذّبه ، او قلّة اهتمامه وحزمه . ومن لم يبذل قصارى جهده في ترويض نفسه على الفضائل ، فلا يزال خالياً منها ، وهذا شرّ عظيم منسوب الى نقص فعل الانسان.

النوع الثاني: هو العلة التي تطبع بتأثيرها صورةً تضادّ الصورة التي يقتضيها كمال الشيء المطبوعة فيه. ويهون ادراك ذلك في هذه الامثال. اذا كنت في وسط هواء بارد جدًّا تفقد الحرارة اللازمة لراحة جسدك، فهذا شرّ منسوب الى الهواء الذي يحدث فيك البرد المضادّ لتلك الحرارة. واذا صدّقت خبرًا غير صحيح، كان هذا شرًّا منسوباً الى من اسمعك ذلك الخبر، فولّد في عقلك بكلامه رأياً مخالفاً للحقيقة. ومن تعوّد بعض الرذائل، يخلو مما يضادّها من الفضائل، وهذا ايضاً شر جلبه الانسان على نفسه من حيث أصل في ذاته الملكات المنافية تلك الفضائل.

اما الشر الذي في المصنوعات فلا يجب ان ينسب دائماً الى علة فاعله سواء كانت من اول النوعين المذكورين او من ثانيهما، فانه يحدث ايضاً ان تحل نقائص في بعض المصنوعات لمجرّد مقاومة المادة لتأثير الصانع مهما كان ماهرًا، واجتهد في اتقان عمله. فتصوّر مثلاً ما يجري اذا أمر نجار بصنع مائدة من خشب فاسد وناخر، او اذا طلب من نحّات ان يعمل تمثالاً من حجر غير ملائم يتفتّت تحت كل ضربةٍ من المنقاش، فيكون المصنوع من كلتا الحالتين ناقصاً في جماله ومتانته، فينسب هذا الشر عندئذٍ الى المادة لا الى الصانع.

فهذا ما تهمنا معرفته بخصوص علل الشرور التي نشاهدها في الكائنات الغير الناطقة، اما الشرور التي تحلّ في الانسان فانها تستحقّ اعتبارًا خصوصيًّا، حتى نعلم ما هو مصدرها واصلها، فتذكر ما قيل آنفاً في الشر الادبي، وما يلحقه من الشر الطبيعي الذي يُدعى عقوبة. وعلة الشر الادبي ما هي الّا ارادة الانسان الحرّة التي ابت الخضوع لمشيئة الله، ويتحقق فيها ايضاً ما قد مرّ تبيانه من جنسي العلل التي تحدث شرًّا بفعلها. اي ان ارادتنا قد تكون مصدر شر ينقص فعلها الذي فيه من الجد ما ينبغي ان يكون. ومن هذا الباب الخطايا التي اصلها الفتور والتقصير والرخاوة وما اشبه. وتكون الارادة مرات اخرى منجم ذنوبٍ، بالتفاتها الى مواضيع تضادّ ما يجب ان توثره وتختاره. وهذا ما يحصل حينما ينقاد الانسان الى نيات ذميمة ومقاصد مخالفة للشريعة الالهية. ثم لا يخفى ان علّلاً عديدةً قد تجرّ الارادة الى اقتراف

الخطايا . منها ما في داخلنا ، كالغلط والجهل من جهة الذهن ، والشهوات من جهة جزء طبيعتنا الحيواني . ومنها ايضاً ما يصيبنا من الخارج كالامثال الرديئة واقوال الحمقاء الحاثين على المنكرات ، وما في بعض المحسوسات من القوة الجاذبة ، كاجتذاب الخمر للشريب والدراهم المعروضة في مكان مخبوء لمن اعتاد السرقة . فتكون هذه الاشياء كلها عللاً الشرّ الادبي . ولكنها ثانوية بالنسبة الى الارادة التي هي دائماً مبدأه الاصلي والرئيسيّ .

اما العقاب ، فجليٌّ انه يُعزى الى ذلك الذي يختصّ به الحكم بانزاله ، وهو الله تعالى نفسه . نعم ان كل رئيس يشترك في هذه السلطة ، ومن فروضه ان يحكم على مخالفي الشرائع من مرؤوسيه ، فيعاقبهم وفقاً الشرائع عينها ، الا ان هذا العمل عمل العدل المعاقب يختص اولاً واصالةً بالله سانّ الشريعة الطبيعية ، وصائن النظام العمومي الواجب ان يحفظ في كل العالم ، ولهذا لا ننسب ما يصيبنا من انواع القصاص الى بعض البرايا إلّا من حيث نعتبر هذه في يد العدل الالهي كآلات يستخدمها عزّ وجلّ لتنفيذ احكامه ، ويعين طبائعها وكيفية تأثيرها فينا حتى يكون القصاص موافقاً لمقتضيات العدل مع ما تقترن به من مقاصد الرحمة . وهذا اذا تكلمنا عن عقوبات هذه الدنيا حيث يمتزج دائماً عمل العدل بتأثير الرأفة . خلافاً لما يكون في الآخرة حيث يملك العدل وحده ، ويستوفي مطاليبه بتمام الدقة والشدة .

فترى من ذلك ان جميع الشرور التي فيها حقيقة العقاب تنسب نسبة خصوصية اليه تعالى ، اما الشرور الطبيعية التي تحتملها الحيوانات والنباتات ، والتي تحصل من نظام العالم ، واختلاف الانواع ، فلا شك في كون الله ايضاً علتها ، ما دام هو مبدئ نظام الطبيعة ومرتب نواميسها ومنشئ كل انواع الكائنات مع ما يلازمها ويلاحقها من الخواصّ . ولا بأس في ان الله هو مصدر تلك الشرور ، لا من جهة منافاتها لبعض الخيرات الجزئية ، بل من حيث افادتها لخير الكون العمومي الذي يتفضّل جدّاً على ما لبعض اجزاء الكون من المصالح الخصوصية ؛ وبكل صواب يشبّه عمل الله في ذلك بعمل البستاني الذي يقلع اعشاباً ويقتل هوامّ ويقطع اغصاناً عديدة ايضاً حتى وفي اجود

الاشجار ، وكل هذا شر لما يُقلع ويقتل ويقطع ، غير انه خير عظيم للبستان كله وشرط ضروري لتكثير ثماره .

اما اذا سألت : ايجوز ان ننسب اليه تعالى الشر الادبي ايضاً ؟ اجبتك مع جملة ارباب علم اللاهوت بالنفي المطلق ، فانه من اشنع التجاديف التي انقاد اليها بعض المنافقين بقولهم ان الله هو بنوع ما محدث الشرّ الادبي ، او مبدئ الخطيئة . كيف لا وان هذا الشر يضادّ قداسة الله كل المضادة ، ويبعد الخليقة عن الغاية التي خلقها الله لاجلها ، ولا يفتأ يهديها اليها ، ألا وهي كمال اتحاد الخليقة الناطقة بباريها وحصولها بالحال على ملء السعادة . فلو كان الله علةً للشرّ الادبي لكان يضادّ نفسه ، وينقض عمله بنفسه . فمحال اذن ان يصدر الشرّ الادبي منه تعالى ، وان ينسب اليه على وجه من الوجوه

الا اننا اعتدنا القول : ان الله يسمح بحدوث الشرور الادبية . أفلا نعني بهذه العبارة نوعاً ما من التأثير يكون الله به محدثاً لتلك الشرور . حاشا ، فان سماح الله بحدوث الخطايا لا يتضمّن شيئاً من التأثير والابداء ، وهذا ما بقي علينا اثباته . ولكون هذه المسألة على جانب من الاهمية ، يحسن بنا ان نخصص لها مقالة نبحث فيها عما هو سماح الله بالشرور وعما يسوغ ان يجاب به من يسأل : لماذا ولاي غاية يسمح الله بما يحيط بنا بل يغمرنا من الشرور في هذه الدنيا ؟ وما يؤول بكثيرين الى اقطع الشرور ، اي الهلاك الابدي ، وهو المجيب ، والمنير ، وعليه الاتكال ؟

رحلة الى قنّوبين

في جبل لبنان

سنة ١٧٢١

بعث بها الاب پتيكوه المرسل اليسوعي الى الاب فلوريو

نقلها عن الافرنسية

القس انطونيوس شبلي اللبناني

رئيس معاملة جبيل والبترون (*

توطئة

حال كثيرٌ من السيّاح الاوربيين في لبنان في ما سلف من العصور ؛ ودوّنوا تفاصيل سياحاتهم ، واسهبوا في كلامهم عن أرضه وسمائه ومائه وهوائه وارزه وغاباته وعاداته واديانه ، منهم الشاليه درفيو ، ودي لاروك ، ولامرتين ، وميسلن ، والاباء اليسوعيّون دندیني ، وفروماج ، وپتيكوه ، وغودار ، وغيرهم كثيرون . وقد اتى كلٌّ منهم على وصف ما رآهُ وتحقّقه بنفسه وما كان له من التأثير على عقله ، من مناظر جبالٍ ووهاد وغياض ورياض وكهوفٍ محفورة في صخور لبنان الصمّاء ،

---

*) صاحب هذه الرحلة الاب بطرس فرنسوا پتيكوه (Petitqueux) ، ولد في نوايون (فرنسة) في ٢٤ ايار ١٦٨٣ ، ودخل الرهبنة اليسوعية في ٤ تشرين الاول ١٧٠٣ . وقدم رسلًا الى سورية سنة ١٧١٩ . وفي سنة ١٧٢٤ تراه في دمشق ، وفي سنة ١٧٣٤ في حلب حيث توفي في ٣٠ آب ١٧٣٧ . وقد ترك رسالة نُشرت في مجموعة الوثائق للارساليات اليسوعية في الشرق (*Nouveaux mémoires des Missions de la Compagnie de Jésus dans le Levant, IX, 1724*) ، وهي الرسالة التي عرّبها حضرة القس انطونيوس شبلي . اما مراسله الاب فلوريو (Fleuriau) فكان في باريس يقوم بمهمّة وكيل المصروف للارساليات سورية . (المشرق)

ومناسك واديار مطلّة كالمصابيح على اكتاف جباله واوديته ، الى غير ذلك من المشاهد الساحرة الفاتنة التي ارتسمت روعتها وجلالها في نفوس هؤلاء السيّاح فاملت على أقلامهم ابلغ العبارات وادقّ التصورات والتخيلات.

وقد درسوا وحلّلوا نفسيّة الشعب اللبناني ، واطّلعوا على اطواره ، وكتبوا فيها فصولاً طليّة شائقة تميط اللثام عن وجه عصور غبرت فتبدو للذهن بحقيقتها ووضيحها .

على انّ هذه الكتابات لا يخلو بعضها من التطرّف ، اذ انها تحتاج الى مزيد دقّة في البحث تنزيهاً لها عن مطايب ميولٍ واهواء غلبت على اصحابها فشوّهت محاسن كتاباتهم.

وها انّ الاب بتيكوه اليسوعي يبسط لنا في سياحته الى لبنان ما راقه من مشاهد هذا الجبل الساحرة الالباب كمناظر أرزه وصخوره ومرتفعاته واديارة . وهو يعرض على الابصار صورةً جميلةً لحياة اللبنانيين القدماء الذين اعتصموا في جبلهم الاشمّ متحفزين لصدّ هجمات الطوارئ ، عاكفين على تنسيم فروض دينهم ، عائشين عيشةً فقريّةً تسودها روح القناعة والبساطة والطهارة المسيحية الحقّة . وقد بسط كلّ ذلك بعبارةٍ رشيقة موجزة تشوّقُ الى مطالعة سياحته التي عرّبنا قسماً منها ونشرناه على صفحات هذه المجلّة الشرقية التاريخيّة اللامعة ، على أملٍ ان نعود الى تعريب القسم الآخر . ولا يبرح ذهن القارئ ان الاب بتيكوه بعث برحلته هذه الى الاب فلوريو إجابةً لطلبه واليك كلامه :

الرحلة

القيام من طرابلس – عرجس – عينطورين – زوبعة هائلة – دير مار سركيس – ارز لبنان – وصف اشجاره – سهل البقاع – دير مار البشع – النهر المقدّس – مغاور الجبساء – عبدالله والحليّون – عوائد الرهبانية – دير قنّوبين – بطريركه – معبد الغدية مارينا – سيرتها – دير القديس انطونيوس – المطران عبدالله – حياة رهبانه الصالحة – الرجوع الى عرجس فطرابلس.

١

طلبت مني ابتِ المحترم ، تفصيل سياحتي الى لبنان . وها انا اتشرّف

بارسالها اليك ، وان كان بعض مرسلينا قبلي كتبوا في هذا الموضوع ولم يتأخروا عن بسط تفاصيل مثل هذه السياحات . لكنهم قد يكونون سهوا ، في ما كتبوا اليك ، عن تسطير بعض امور تراها في سياحتي ولم ترها في سياحاتهم . واني لعالمٌ انَّ استحقاقي عندك يقوم بطاعتي لك.

سافرتُ والاب بونامور (Bonamour) من طرابلس ، في ١٣ تشرين الاول سنة ١٧٢١ ، يرافقنا ثلاثة هداة موارنة من جبل لبنان . ثم مشينا معاً اربعة ايام ، فبلغنا عرجس ، القرية الصغيرة في سفح جبل لبنان الشمالي، تبعد عن الارز مسافة ستّ ساعات . وبالرغم من جدنا في المسير ، لم نصل الى هذه القرية إلا الساعة العاشرة ليلاً على ضوء القمر . واضطررنا ان نقضي ما بقي من الليل في كوخ قصب حقير بتنا فيه الى ما قبل الصباح نتألم من البرد القارس.

قمنا من عرجس قبل الفجر بساعتين يسير بنا هداتنا على مهل في طرقات صعبة المسالك .

ومررنا في طريقنا بقرية صغيرة تسمى عينطورين ، فرآنا شيخها فخفَّ الى ملاقاتنا ودعانا لتناول الغداء عنده . ويا ليتنا أجبنا دعوته ، لاننا ما ابتعدنا عن عينطورين نحو نصف ساعة ، حتى امطرتنا السماء هطالاً من المطر والبرد والصواعق ؛ واستمرَّ ذلك نحو ساعتين لا ينقطع للشتاء خيط. وامسينا كالغرقى حائرين بائرين لا نجد لنا مأوى ولا معين.

فانحدرت اثوابنا وغصنا بالوحل للركب ، وكدنا نغرق ببرك الماء . وما كان من هذا الماء كالانهار حيث نحن ، كان ثلجاً على مناكب الجبال المجاورة. واخيراً بعد شقّ النفس وعرق القربة ، وصلنا دير مار سركيس للاباء الكرمليين المحترمين [1] . فتسابقوا الى مساعدتنا ، وكانت مساعدتهم في حينها ، لاننا لقينا منهم كلَّ ما يلائم تلك التعاسة التي كنا بها . فاسترحنا عندهم الى اليوم الخامس عشر . وديرهم هذا قائمٌ في سفح صخر عالٍ يرتفع ارتفاعاً هائلاً بحيث لا يصل الى قمته سوى القشاعم والنسور.

---

١) هذا الدير قائمٌ في لحف جبل ، جنب بلدة بشرّي الشرقي.

ان قسماً كبيراً من هذا الدير مناور صخرية اجتمعت يدُ الصناعة والطبيعة في اتقانها فابرزتها رحبةً جميلة . والمبد مفارةٌ ايضاً كبيرة نظيفة لا يتهيأ للصناعة ان تأتي بابدع منها . من ذلك الصخر تنبجس عينٌ غزيرة صافية تمرُّ في كل محالّ الدير حيث يُحتاج اليها وتنتهي الى بستانٍ حافل بالخضر . لذيذٌ جدًّا السكن في مار سركيس صيفاً . أمّا في الشتاء فيهجرهُ الآباء الكرمليّون بسبب الثلج والبرد القارس ، حيث يصير السكن فيه غير مطاق ، ويهبطون الى طرابلس ويقيمون فيها نحوًا من ستة اشهرٍ الى عيد الفصح .

وفي صباح السادس عشر سرنا وهداتنا الى ارز لبنان . وفي الطريق أخاديد فيها بقايا ماء الشتاء الغزير . فشقّ علينا كثيرًا قطعُ المسافة الكائنة بين مار سركيس والارز الذي يبدو للناظر من بعيد .

متّعنا البصر والفكر بذلك الارز ما طاب لنا ، وهو على هضبته الصغيرة ، ومن حوله سهلٌ فسيح ، تحدقُ به جبالٌ عالية تغطّيها الثلوج .

ان هذا الارز الطائر الشهرة في العالم كثير العدد ، والصغير منه والجديد اكثر عددًا من الكبير والقديم . وقد عددتُ من الشجرات الكبيرة الضخمة زهاء اثنتي عشرة ارزة ، وقستُ اكبرها فاذا قطر دائرتها ستُّ باعات . وقد رأينا أنّ بعضها يتفرّع بعد ارتفاع الجذع قليلًا عن الارض الى خمس او ست اشجار وانّ رجلين بالكدّ يحوطانها باذرعهما . واذا تشابكت هذه الاشجار في اعلاها حصل عن تشابكها اتساعٌ مذهل ، بينه وبين الارتفاع مناسبةٌ هندسيّة لطيفة . وقد حفر سيّاحٌ كثيرون اسماءهم في جذوع الارزات الضخمة حيث أحدثوا شقوقاً كبيرةً في ظاهر الجذع ليتسنى لهم الحفر ، فخرجت مائية متحوّلة الى صمغٍ مفيدٍ جدًّا لعصب وضماد الجراح ، وقد امتحنّا ذلك بنفسنا .

وعلى اصول الاشجار الضخمة قامت اربعةُ مذابح من حجر وكل سنة يصعد بطريرك الموارنة ، يوم عيد تجلي السيد المسيح ، الى هناك بموكبٍ عظيم من الاساقفة والكهنة والرهبان ، يتبعهم خمسة او ستة آلاف ماروني يجتمعون من كل ناحية للاحتفال بهذا العيد الذي يدعونه عيد الارز . على انّ الموارنة ، وان اجتمعوا للاحتفال بالعيد يوم تجلي الرب ، في الارز ، فانهم لا يعتقدون ،

كما يتهمهم بعض المؤرخين بدون سندٍ ، أنَّ السيد تجلّى على هذا الجبل. لانَّ تجليه تمَّ ولا ريب على طور طابور.

والذي حمل هؤلاء المؤرخين على هذا القول انما هو رأي البعض انَّ طور طابور جزءٌ من جبال تُدعى لبنان وما وراء لبنان (انتيلبنان)

أما جبال لبنان هذه فهي التي تمتدُّ من جهة البحر من نبع الاردن او جبل الكرمل الى مسافة يوم او يومين من الشام. اما جبال انتيلبنان (ما وراء لبنان) فهي تمتد اكثر في عرض الارض يفصلها عن جبال لبنان سهلٌ واسع يبتدئ من مسافة يوم او يومين من دمشق الشام الى جهة بعلبك يُدعى البقاع . وقد دُعيت جبال ما وراء لبنان بهذا الاسم لانها إزاء جبال لبنان مطلّةٌ عليها.

أمّا منبتُ الارز فذو هواء باردٍ بحيث يمتنع على احدٍ ان يسكنه ايام الشتاء . غير انَّ موقعه جميل وما فيه من الاعشاب الطبية نادر المثال . أما الطيور فمتنوّعة وكثيرة في ذاك المكان لا تخشى الا الجوارح ، والارض صالحة للزراعة مخصبة ، لكنها مهملة ليس فيها سوى أدغال البربريس ذات الاشواك الحادة الظريفة المنظر.

قد كان لبنان في القديم مغطًى كلُّه بالارز . أمّا الآن فليس فيه إلا الارز الذي ذكرناه ، وغابةٌ اخرى في جبلٍ مجاور لقنوبين. لذلك ترى كل مصنوعات النجارة في لبنان من خشب الارز ، وهي ذات دقّةٍ في الصناعة [1] .

---

(١) طالع الفصل البديع الذي كتبه حضرة الاب لامنس اليسوعي في كتابه تسريح الابصار مجلد اول ص ١٣٤–١٤٣

(لها صلة)

بقلم الاب لامنس اليسوعي

لاحظ

الكثيرون ان الانكليز لا يكترثون غالباً اكتراثاً شديداً لما يحدث عند سائر الاوربيين . ولهم عذرهم في ذلك ، لان انكلترة جزيرة منفصلة عن مناطق اوربة . اما نحن فلا يمكننا التشبث بعذر الانكليز ، لان بلادنا تشبه جسراً يصل بين القارات الثلاث في العالم القديم ، لانها ممرّ طبيعي يضطر جميع جيراننا الى السير عليه ، بل هي طريق مبتة كما ابان ذلك السيد ميشال شيحا ، في محاضرته النفيسة التي تكلمنا عنها في الشهر الماضي[1] . وعليه فلا يمكننا ان نجهل او نتجاهل ما يحدث عند جيراننا . فهم يؤثرون فينا ، ونحن نؤثر فيهم . وها ان تاريخنا باجمعه برهان واضح على هذا الامر ، يدلنا ان بلادنا نالت في كل عصر فوائد الطريق ، وتحملت مضارها ، وان جدودنا استفادوا من مركزهم النادر منافع توسطهم بين الامم كما قاسوا مساوئ هذا التوسط . فاستثمر الفينيقيون هذا المركز ، فعقدوا الصلات التجارية واستحدثوا المستعمرات . ولكن المركز نفسه جرّ على احفادهم الغزاة والمكتسحين .

واننا ، في هذه الساعات السوداء التي نحياها اليوم ، ووسط هذه الازمة الآخذة بخناق العالم كله ، نرى من دواعي الاعتبار واساليب التعزية ان نلقي نظرة على جيراننا . فنتحقق اننا اخف الجميع ضنكاً واقلهم مقاساة لهذا الضيق العالمي . واننا لا نعني بقولنا تركية وحدها التي كادت تخنقها ازمة

---

١) اطلب مشرق شباط الماضي ، ص ١١٦-١٢٢

اقتصادية زادتها شدة عقبات سياسية داخلية ، بل تتجاوز ، في هذه النظرة ، تركية الى غيرها من بلاد الشرق الادنى . فترى ان مصر نفسها ، التي طالما مثلوها لنا بلادًا ذات كنوز لا تفنى ، وموارد لا تنضب ، ومستقبل لامع براق ، ترى مصر السعيدة تقاسي اليوم ازمة مالية غاية في الشدة والخطر ، وفضلًا عن ذلك فان المستقبل السياسي فيها لا يبعث الى الاطمئنان .

اما بلادنا فبعيدة عن هذه البلايا . ونحن اذا انتبهنا الى ان الازمة كونية عامة لم تخلص منها منطقة ، رأينا اننا اسعد حظًا من جميع جيراننا في الشرق الادنى ، كما ان فرنسة اسعد حظًا من سائر دول اوربة .

تكلمنا في « مشرق » كانون الثاني من هذه السنة عن الحالة الحاضرة في جزيرة العرب . فيحسن بنا الآن ان نحوّل انظارنا الى الشمال فنبحث في حالة تركية الكمالية . فنرى انها ، على الرغم من البلاغات الرسمية والمعلومات المطمئنة ، تسير الى مستقبل قاتم الالوان . فهي ، فوق تأثرها بالازمة العالمية تأثرًا شديدًا ، تشكو من ثلاث أزمات تتنابها جملة : أزمة مالية ، وازمة دينية ، وازمة انفصالية . اما الازمة المالية فشديدة الخطر حتى انه اذا لم يتوفق اولي السلطة الى حلها قريباً ، لا تبعد ان تجرّ افلاس الحكومة . وسببها ان السلطة انصرفت الى الشؤون السياسية البحتة مدة سنوات متوالية ، دون ان تهتمّ بما دون ذلك من امور الاقتصاد . فخصّت القسم الاعظم من الموازنة بنفقات عسكرية لا فائدة اقتصادية منها ، فلم تنل الزراعة الّا عناية جزئية ، والزراعة مورد تركية الاعظم اذ لا صناعة مهمة في تلك البلاد . وفي الوقت الذي تظهر فيه انقرة عاجزة عن وفاء ديونها للاجانب ، نرى الحكومة الكمالية تمدّ سككاً حديدية غايتها الاولى تسهيل حركات الجيش زمن الحرب ، وتوصي في معامل انسالدو الايطالية على قطع مدفعية بقيمة خمسين مليوناً .

ثم ان اخراج الاقليات غير الاسلامية كان سيئ التأثير على اقتصاديات تركية . لان هذه الاقليات كانت على رأس الحركة التجارية فيها . فلم يعزّ رحيلها في شيء الصناعة التركية ولا التجارة ، على عكس ما قدّره ساسة الكماليين . فلم تتمكن بلادهم من ان تسدّ الثُلم العديدة التي احدثها ذهاب

تجّار الارمن والروم. واجلى مظهر لهذا النقص تراه في موانئ ستامبول وازمير وغيرهما ، فانها تكاد تقفر بينما ترفأ اليه يضيق بما يرسو فيه من البواخر والمراكب.

ولا تزال الاطلال المحروقة والآثار الدائرة تنتشر في انحاء ازمير التي خربتها جيوش الكماليين الظافرة . وقد جرّب فتجني بك تلافي الشرّ قبل استفحاله ، فأسس حزبه المتساهل وغايته ان يخفف قليلاً ما ذاك العداء الجافي لكل ما هو اجنبي ، فيسمح لمن بقي من الاقليات في تركية بحياة تكون اقلّ شقاء مما هي عليه ، ويدل على تعاسة الحالة في تلك البلاد ستاراً قد يلطّف منظر الخطب على ابصار اوربة ، حتى اذا احتاجت تركية الى معونتها المالية لا تبوء بالفشل والخذلان . على انه سرعان ما شعر فتحي بك بان الداء اصبح عضالاً ، فاقلع عن فكرته وحلّ الحزب القليل الذي كان قد جمعه حول برنامجه .

وان الغاء الخلافة ، وما تبعه من الشرائع اللادينية التي رمت الحكومة الكمالية ببعضها صميم الدين الاسلامي ، افقدتا الصبر الطويل الذي اشتهر به الاتراك المؤمنون . فسرى روح التذمّر ، خصوصاً بعد حبوط مساعي فتحي بك في التساهل ، ودُفع الكثير من المسلمين الى المطالبة بحرية الضمير ملتجئين الى الطرق المشروعة ، حتى اذا يئسوا منها ، لجأ مسلمو مُنيمن وولاية أزمير الى الثورة . وان حركتهم هذه كانت اشدّ واوسع مما تظهر في الاخبار والبرقيات الرسمية يدلّنا على ذلك شدّة العقابات وصرامة الانتقامات ، فان انشاء المحاكم العسكرية يدل على شيء اشدّ خطراً من هياج الدراويش . كل هذا ينذر حكومة انقره بأن مسلمي تركية لم يصلوا بعد الى درجة تمكنها من جعلهم ملحدين . ولا تنحصر روح التذمّر والهياج في ولاية ازمير وما جاورها ، بل تتجاوزها الى اكثر الولايات الاناضولية فتنتظر فرصة سانحة للوثوب والثورة . وقد قام مصطفى كمال مؤخراً بجولة في الولايات ، ولا غاية له الّا تسكين الخواطر وتهدئة هذا الهياج المتحفّز للوثوب . وهناك انذار ثانٍ تجلّى بثورات الاكراد ، وهو انذار يهدّد وحدة الجمهورية التركية . فان الثورات المتتابعة تكذّب دائماً البلاغات الرسمية التي تدّعي دائماً ان الثورة الكردية انتهت وان الثوّار الاكراد أبيدوا على بكرة ابيهم . هذه نتيجة السياسة الكمالية العدائية التي تابعتها انقرة مدة

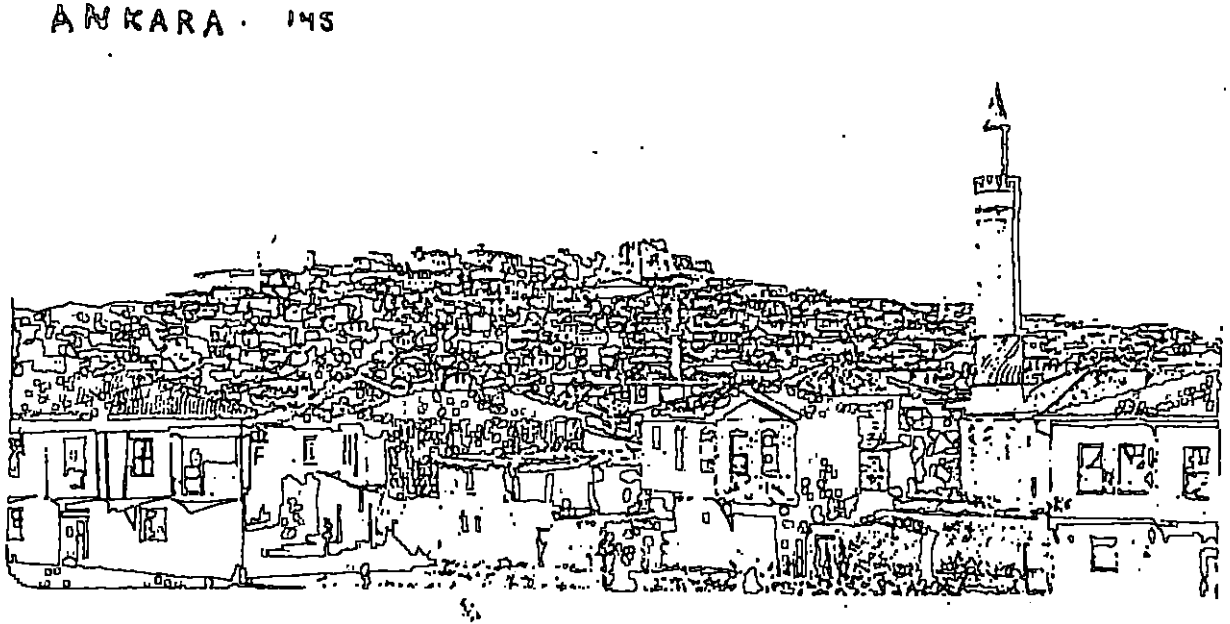

مدينة انقرة الحديثة

سنين ، فالجأت رعاياها الى التذمر فاليأس فالثورة ، ليس ثورة الاكراد الرامين الى الانفصال فحسب ، بل ثورة مسلمي تركية انفسهم .

وفي مصر ايضاً ترداد الازمة الاقتصادية خطورة بأزمة سياسية خانقة احدثها الحزب الوفدي بتشبثه بمبادئه وقعده عن كل تساهل ؛ ولكن حكمة الملك فؤاد وعزمة صدقي باشا ، رئيس الوزراء ، تضمنان ، لحسن حظ تلك البلاد ، على معالجة الداء . وقد حُذف من الدستور المصري الجديد اشدّ المواد خطراً كمسألة التصويت الشعبي العام في بلاد يبلغ عدد الاميين فيها ٩٨ بالمائة . فمن يُعطي حقّ التصويت العامّ لهؤلاء . كمن يُسلم دفّة الحكومة لصبيان لا يرون اين يقصدون . ولنا الامل ان الانتخابات المقبلة تؤيد الحكمة في هذه الاصلاحات .

اما العراق فقد اقرّ برلمانه ، في دورة تشرين الثاني الفائت ، المعاهدة الجديدة التي عُقدت بينه وبين انكلترة . وهو ينتظر السنة ١٩٣٢ ليطلب قبوله في جمعية الامم . فهل ينجح في طلبه ؟ وهل يحقّق الشروط المطلوبة للدخول في تلك الجمعية ؟ وهل هو دولة مستقلة حقيقة ام ان تلك المعاهدة لم تكن الّا واسطة ابدلت بها انكلترة نظام الانتداب على العراق بنظام الحماية ؟ ثم ان جمعية الامم تطلب من العراق ، دون شك ، ضمانات مهمة في مصلحة الاقليات التي لا تتمتّع دائماً في تلك البلاد بالانصاف والتساهل الواجبين . من ذلك ان حكومة العراق بتدخلاتها المزعجة ، تنكد الحياة على المدارس المسيحية ، وتضيّق عليها مجال العيش ، كأنها تريد الغاءها مقتفية ، في ذلك ، اثر حكومة انقرة .

واما فلسطين فان نشر « الكتاب الابيض » اهاج في العالم كله غضب الصهيونيين ، دون ان يرضي الوطنيين . ويخشى هؤلاء من ان تتأثر الحكومة الانكليزية باحتجاجات الصهيونيين ، وضجيج اليهود في العالم اجمع . واننا نرى خوفهم في محله اذا انتبهنا لمسألة الهجرة الصهيونية التي كانت ممنوعة منعاً باتّاً ، ثمّ سُمح بها بشروط . ومهما يكن من الامر في المستقبل فان الوطنيين والصهيونيين يتقاطعون في معاملاتهم ، فيزداد عدد العمّال العاطلين ، فترداد خطورة الازمة الاقتصادية .

دلبتا

نبذة تاريخية

للخوري بطرس روفائيل

٢

الفصل الثالث

سكانها الحاليون

ان السكان الحاليين كلهم موارنة قدموا القرية في ازمنة مختلفة . واني آتٍ بذكر عيالهم واحدةً واحدةً ، تابعاً تاريخ قدومهم .

١ً عائلة المدولب

هي العائلة المسيحية الاولى التي قطنت في القرية ، حسب قول القدماء . انما لم نعثر على صكّ او وثيقة تؤيد هذا التقليد . ورأى البطريرك مسعد ان جدّها قدم من قرية معاد من بلاد جبيل . ورحل فرع منها عن دلبتا الى الكفور في الفتوح ، وفرع الى النتورة في الفتوح ايضاً ، وفرع ثالث الى فتري في بلاد جبيل .

من هذه العائلة الخوري يوسف ابي حاتم . أتقن الشعر واجاد فيه ، وله قصائد مطبوعة مشتّتة . وقد عيّنه البطريرك مسعد سنة ١٨٨٢ فاحصاً للمترشحين لدرجة الكهنوت . توفي سنة ١٩٠٤ [1]

وجناديوس ، دخل الرهبانية الحلبية ، وصار قسيساً باسم جرمانوس . ترأس مدة طويلة دير مار اليشاع في بشري ، واقتنى له املاكاً وافرة . وبنى على اسم مار اليشاع ديراً جديداً حسب الهندسة الحديثة وسقفه بالآجرّ . وله اليد الطولى

---

١) قد اكتفينا ، خوفاً من الملل وهرباً من الاطالة في الكلام ، بذكر من نال رتبة او ترك اثراً ما ادبياً او عمرانياً .

في تشييد دير مار انطونيوس في دلبتا . وقد كان له مقام رفيع في رهبانيته ، فانتخب مدبّرًا .

والشماس لطف الله المدوّب . كان له خطٌّ جميل فانكبّ على نسخ الكتب ، منها في مكتبة دير طاميش كتاب « مختصر الكمال المسيحي » للمطران قرحات ، نسخ سنة ١٧٩١ [١]

٢ً عائلة شوشان

قدم دلبتا جدّ هذه العائلة من رأس بيروت ، في اواخر الجيل السادس عشر [٢].

من هذه العائلة الخوري جرجس شوشان ، تلميذ المدرسة المارونية في رومية . وقف في شيخوخته ارزاقه وكلّ ما عنده من الكتب والامتعة الى دير مار يوسف الحصن في غسطا بواسطة البطريرك يوسف اسطفان . ابتاع بيته الياس جحى باسيل ، ولا يزال له ذكر عند الاهلين ، من مكان على طريق العربات يدعى « عريشة الخوري جرجس » [٣]

٣ً عائلة الحتوني

منشأ هذه العائلة قرية حتون في بلاد البترون . قدمت دلبتا في اوائل الجيل السابع عشر ، والسبب هو انه حدث بينها وبين المتاولة ، سكّان تلك النواحي ، عداوة شديدة افضت الى سفك الدماء . ولما كانت القرية حقيرة صغيرة تحتوي نحو ثلاثين بيتاً من ارومة واحدة ، اضطرّ جميعهم الى الفرار ، فلاذوا بكسروان وتفرّقوا في قراه [٤] . فمنهم بيت مارون في ساحل علما ، وبيت عازار في عرامون ، ومناسا في جوار الحشيش ، وناكوزي في صليما ، وابي كرم في برمانا ، وابي سليمان في المتين وبرمّانا [٥] . ويُلقّب بنو الحتوني في دلبتا

---

١) المشرق (٢٨[١٩٣٠] ٢١٨) .

٢) السجل ص ٣ . اما النبذة ص ٩ ، فيقول مؤلفها ان الجدّ جاء دلبتا ، في اوائل الجيل السابع عشر .

٣) النبذة ص ١٠ ٤) سجلّ ص ٣

٥) الخوري ميخائيل غبرئيل : كشف النقاب عن بقعة بيت شباب . الجزء الثاني ص ٢٨٠

بالحراقة . وقد نظرتُ هذه الكنيسة في صكوك عديدة قديمة مؤرخة في سنة ١٧٢٢ و ١٧٦٩ و ١٨٠٧ الخ [١] .

وقد رحل عن دلبتا الى القطر المصري فرعٌ يُعرف «بالابيض» ، منهُ جورج ابيض الممثل الشهير .

من هذه العائلة يوسف حنا الخوري ، ترى ترجمته في غير هذا المكان .

والخوري بطرس حنا الخوري ، اخو المتقدم ذكرهُ . سافر ، وهو شماس ، الى رومية والاستانة برفقة البطريرك بولس مسعد ، ونال وساماً من السلطان عبد العزيز . ورقي الى درجة الكهنوت سنة ١٨٦٨ ، وعُيّن كاتباً لاسرار البطريركية المارونية . فاكسبته وظيفته هذه نفوذاً قوياً وشهرةً بعيدة ، وقد مكث فيها الى سنة ١٨٨٢ . توفي سنة ١٩٠٤ .

والقس فيليبوس الانطونياني . اقام سنة ١٨٧٤ دير مار مارون الرويس في شنعير ، ودفع ثمن ارزاقه الى اولاد طنوس نصر [٢] .

والخوري يوسف بن نصر . قال عنه الخوري منصور انه رحل عن دلبتا الى جبيل ، وخدم فيها الطائفة وتوفي سنة ١٨٠٣ في جبيل ودُفن في كنيستها وهو الذي سعى مع ابن عمه القس مرقوس في ان يسلّم الامير يوسف شهاب الوالي انطوش جبيل للرهبان البلدية » . [٣]

---

١) سكن المسيحيون في بادئ الامر عند دخولهم دلبتا في الجهات غير المأهولة ، وخارجاً عما يسمى الان « الضيعة » حيث كان يقيم الشيعيون وحدهم . وكان للنصارى قسّ من بيت الحتوني يخدمهم ، ففي اوقات القداس واقامة الطقوس ، كان يعطي علامة لاجتماع الرعية باستعماله قطعة مستطيلة من الحديد معلّقة من طرفيها ، يقرعها فيسمع صوتها من بعيد ، فيقول الشيعيون : «حرتق القسيس ، والقسيس الحرتوتي ، وفلان من عائلة الحرتوتي» . فأطلقت هذه الكنية على بني الحتوني فسمّوا حراتقة .

٢) قد ابتاع هذا الدير من الرهبانية الانطونيانية حضرة الخوري بطرس نصر ، وجدّد بناءه على الطراز الحديث ، انما الحرب الكونية حالت دون تتميمه .

٣) لا اعلم مقدار هذا القول من الصحة ، لان من المؤكد تاريخياً ان الشيخ سعد الخوري ، مدبّر الامير يوسف ، قد استطاب سيّده فوهب الرهبان اللبنانيين كنيسة مار يوحنا ويُثبت ذلك كتابة منقوشة بالكرشوني على بلاطة فوق عتبة الكنيسة وهذه حرفيتها : « قد جُدّد تشييد هذا الهيكل المبارك في ايام المجد الاعظم البابا بيوس السادس وايام قدس السيد

والام سوسان. ترهبت في دير حراش واستلمت حسابات الدير ، وانتخبت رئيسة بالقرعة القانونية سنة ١٨٧٧. وبقيت في هذه الوظيفة ست سنين كانت منصبة على نسخ الكتب الكنائسية لان خطها في السرياني كان فريداً في حسنه [1].

والخوري منصور الخوري صاحب الكتاب المطبوع « نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية » والمخطوطتين اللتين تقدّم ذكرهما الاولى « نبذة تاريخية في الاعيال الدلبتاوية » ، والثانية « سجلّ كنيسة مار يعقوب واوقافها ». [2] توفي سنة ١٩١٠

٤ً عائلة مخلوف

قد تضاربت الآراء في اصل هذه العائلة فالخوري منصور ، صاحب النبذة التاريخية ، يقول مستنداً الى تناقل اخبار القدماء ، انها « من قرية المنيا في زاوية طرابلس » [3] وذهب الطيّب الذكر المطران بطرس شبلي الى ان اصلها من قصبة اهدن ، ورأى العالم البحّاثة الخوري بطرس غالب انها « احد فروع عائلة باسيل التي ذكر عنها انها اتت من مينا طرابلس الى غوسطا كما ورد في وُرَيقة قديمة من مخطوطات المكتبة البطريركية المارونية » [4] وذهب بعضهم غير

البطريرك مار اسطفان وهمّة ومساعدة الشيخ سعد الخوري وبعناية ربانية ورهبنة لبنانية وطائفة مارونية تمّ ١٧٧٦» راجع المشرق (٢٦[١٩٢٦] ٤٤٤). غير انه قد يكون للخوري يوسف ولابن عمه القس مرقس بعض التأثير في هذا الامر ، او بالاحرى لما كان للموارنة في جبيل كنائس اخرى عديدة صغيرة ومعظمها بيد الرهبان البلديين ، فقد يكون لها مساعٍ لدى الامير في تسليم واحدة منها للرهبان المذكورين.

١) قد عثرتُ في كنيسة سيدة النجاة في دلبتا على كتاب الشحيم اي الفرض الصيمّ الكامل بخط سرياني جميل جدًا حتى خلته لاول نظرة مطبوعاً . وفي آخره قرأت ما يلي : « قد تمّ نسخ هذا الكتاب عن يد الاخت سوسان لاوندوس من دلبتا راهبة دير حراش في ١٥ تشرين الثاني ، وقد وصل ثمنه من ابن عمّنا باخوص بو شابوب من دلبتا سنة ١٨٦٦ فيتصرف فيه حسب ما يشاء. وبريد وقد دفع ثمنه خمس مائة غرش عن يد القس ميخائيل بو خليل ».

٢) النبذة التاريخية ، صفحة ١١-١٦ والسجل صفحة ٣.

٣) النبذة ص ١٧ و١٨ ، والسجل ص ٣. ٤) المشرق (٢٢[١٩٢٤] ١٨)

هذا المذهب [1] ومهما كان من امر الاختلاف في اثبات الموطن الاول ، فمن المؤكد ان البعض من هذه العائلة استوطنوا غسطا ، ومنهم نشأ البطريرك يوحنا مخلوف ، والمطران بطرس مخلوف . وفي الشر الثالث من الجيل السابع عشر ، انتقل احدهم باولاده من غسطا الى دلبتا فكثرت هناك سلالته ومنها فرع رحل الى النقاش ، وفرع الى بيروت ، وفرع ثالث الى القطر المصري.

٥ عائلة روفائيل

ان اقدم صكّ عُثر عليه ، وفيه ذكر لهذه العائلة ، مؤرّخ في سنة ١٦٩٢ ، وهو صك بيع « الحاج فرح الى سليمان الحصروني » . رحل روفائيل ، جدّ هذه الاسرة ، عن جاج الى دلبتا في منتصف الجيل السابع عشر [2] . فنمت ذريته وكثر عديدها حتى اصبحت اكبر عائلة في القرية . وقد اقدم بنو روفائيل على ابتياع الارزاق والمساكن من الشيعيين في وسط القرية اي « في الضيعة » واقاموا فيها ، ولا يزال اكثر بيوتهم في تلك الجهة الى يومنا . وبيدي وثائق تنبئ بقرابة بين بيت الخازن وبيت روفائيل ، منها صكّ بيع مؤرّخ في سنة ١٧٨٥ بامضاء الشيخ شيبان الخازن فيه ما يلي : « هو ان بعنا الى قرايبنا روفائيل حصتنا في

---

١) لا اعلم الى اي مستند استند المؤرخ ميخائيل غبريل لما قال في « كشف النقاب عن بقعة بيت شباب » الجزء الثاني ص٢٧٩ : « اصل عائلة مخلوف من بكفيا هاجر سلفها مخلوف زمن خراب كسروان الى الكورة مع اخوته جرجس وحبقوق وعبدالله فانتقل مخلوف الى بقاع كفرا واخوته الى قرية بان ونخل من سلالة حبقوق اناس توطنوا قرية كفرصفاب مع فريق من بني الصبحة يعرفون فيها بعائلة ابي منصور ومن فروع هذه العائلة ابناء مرقس في ذكريت وبيت شباب »

٢) ان السيد عيسى اسكندر المخلوف في كتابه « دواني القطوف » ص ٦٥١ و٦٥٢ يقول عن بني روفائيل ان جدّهم ترك جاج في اواسط القرن السابع عشر مع شقيق له قطن غزير ونشأ من سلالته بنو جاج فيها . اما روفائيل فسكن دلبتا ونشأ من سلالته فروع كثيرة « ومما يروى ان هذه الاسرة من فروع الاسرة المعادية الكبيرة التي منها بنو بصبوص وبنو الحاج في قبتولة وبنو عون في دير القمر وبنو قشوع في غسطا وبيروت » وقد اعتمد المؤلف فيما كتب على السيد يوسف المؤرخ روفائيل المتضلع من التاريخ ، وصاحب شجرة انساب عائلته التي سيقدّمها للطبع .

منزلان في دلبتا على طراز الهندسة اللبنانية القديمة

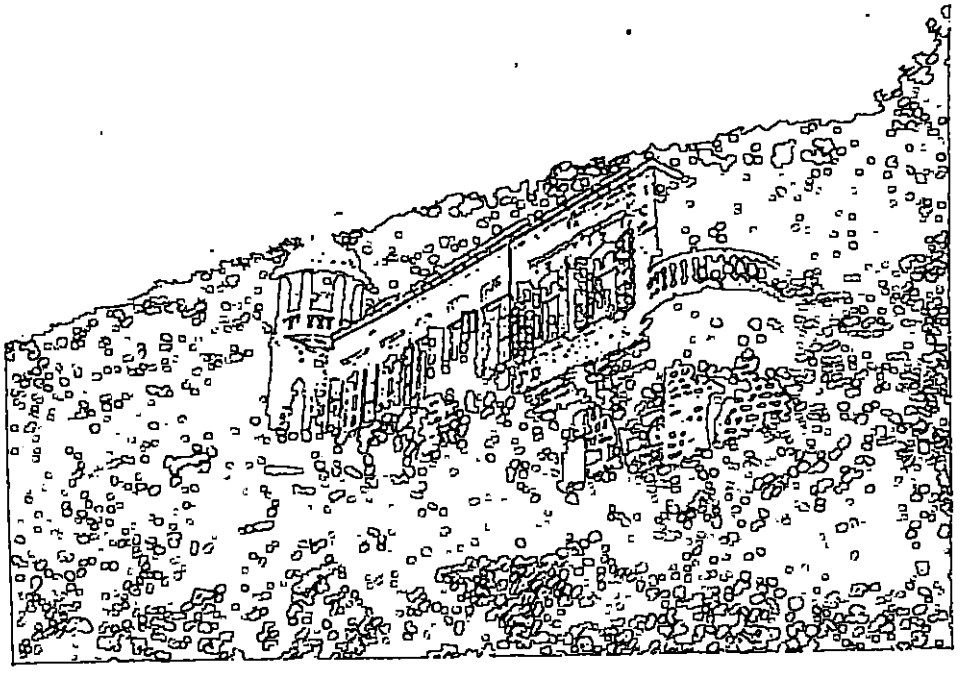

منزل في دلبتا على طراز الهندسة الحديثة

المصرة التي فوق العين ... » ومنها كتاب توصية من الشيخ بطرس الخازن [1] الى الشيخ بوبشاره عرب الشلفون و كان هذا من المقربين الى الامراء الشهابيين [2] ننقل منه ما حرفيته : « بعد الاحتشام و كمال الاحترام ننهي لحوتكم بخصوص قرايبنا روفايل من دلبتا ... » وقد اكثرت من البحث والتنقيب لاعرف ما اذا كانت هذه القرابة ابوية ام بالمصاهرة ، سابقة لتزوجهم عن جاج ام تابعة له، فلم أظفر بمطلوبي . غير ان هذه الوثائق تؤيد صدق من قال ان بني روفائيل قدموا من جاج ، لان بني الخازن رحلوا ايضاً عن جاج الى كسروان.

ومن هذه العائلة خاطر ، انتقل من دلبتا الى عجلتون ، ولا تزال ذريته معروفة للآن « ببني ابي خاطر » . ومنها فرع ابي اسطفان في بيروت ، وبني مدلج في بيروت والقطر المصري ، وفرع معروف ببني فارس روفائيل في بعلبك.

ومنها بو فرح بطرس ، ترى ترجمته في غير هذا المكان .

والخوري بطرس روفائيل القديم الذي اجمع مواطنوهُ على انتخابه وكيلاً على كنيسة الرعية وعهدوا اليه امر تتميم بنائها ، فقام بأعباء هذه الوظيفة خير قيام . توفي سنة ١٨٠١ .

وولدهُ الخوري يوحنا ، ترى ترجمته في غير هذا المكان .

والقس مرقس بشاره من الرهبانية البلدية . شيّد لرهبانيته انطوشاً في وادي رعشين ، واقتنى له ارزاقاً وبيوتاً واحراشاً . توفي سنة ١٨٩٥ .

والقس يوحنا فرح من الرهبانية الحلبية ، شيّد بكدّه وتقتيره كنيسة السيدة في وطا نهر الكلب ، توفي سنة ١٩١٢ .

والقس يعقوب كرم من الرهبانية الحلبية ، نال لقب اباتي مع الانعام باستعمال الحبريات . مكث في مدينة الزقازيق في القطر المصري مدة ثلاثين سنة يعمل في اعلاء شأن الرسالة وخير النفوس، وشيّد بمساعيه واجتهاده داراً للرسالة ومدرسة للاحداث وكنيسة وقد تكرّست الكنيسة سنة ١٨٩١، وهي الكنيسة الاولى

---

١) توفي الشيخ بطرس بن نوفل الخازن سنة ١٧٦٠

٢) وكان ايضاً لاولاد عرب الشلفون حظوة كبيرة في عيني الامير بشير ، وكانوا من خاصته ، وقد ولى احدهم، يوسف الخوري ، الحكم على سواحل بيروت.

الطوائف الكاثوليكية في هذه المدينة[1] » . عيّنته الزيارة الرسولية رئيساً على دير رومية سنة ١٩١٠ ، فظلّ في وظيفته هذه الى ما بعد انتهاء الحرب الكونية ، ولما رجع الى وطنه اشترى انطوشاً للرهبانية في المطاحن . توفي سنة ١٩٣٠ .

والمهندس باخوس لبنان ، اشترك في سنة ١٩١٤ « باعمال لجنة شبه رسمية جاءت من فرنسة لدرس احوال الشركات الفرنساوية في شبه جزيرة ملكا وجزائر جافا وسومترا وبُرنيو . . . وكان له آراء متبوعة في اعمال هذه اللجنة ، ولهذا السبب انعمت عليه الحكومة الفرنساوية بوسام الاستحقاق الزراعي ، وبأثناء الحرب الكبرى منحته حكومة روما الحامية الايطالية لقاء الخدمات التي أتاها للارساليات الايطالية في صعيد مصر ، ثمّ عيّنته حكومة فرنسة ترجماناً فخريا لوكالتها السياسية في مصر اقراراً بحسن ما جاء به من الاعمال المفيدة للجالية الفرنساوية الكريمة » . [2] له مقالات قيّمة عديدة سياسية واجتماعية واقتصادية في الجرائد الافرنسية في القطر المصري وفي فرنسة .

والخوري داميان زميا ، المحرّر في عدة جرائد افرنسية مثل لاكروا والاوتيفر وغيرهما . وهو مراسل وكالة فيدس الرومانية .

والمحامي اسعد مخلوف ، صاحب « كتاب اهمّ المعاملات في الصكوك والاستدعاءات » وكتاب « دليل المتداعين ورفيق المحامين » .

والسيد يعقوب كرم ، صاحب مجلّة « الاخلاق » المصوّرة ، التي تصدر في نيويرك ورئيس التحرير فيها .

٦ عائلة ديب

جدّ هذه العائلة هو ابو يوسف الياس ذيب ، اصله من قرية العاقورة من اسرة مهنا ، هجر مسقط رأسه في اواسط الجيل السابع عشر ، وأتى فسكن اولًا في محل يدعى « الفص » بين غزير ودلبتا . ثم استوطن دلبتا وهو اول من سعى ووقف الاملاك لدير سيدة الحقلة .

---

١) القس بطرس الخويري : تاريخ الرسالة المارونية ، ص ٢٥٤

٢) ابراهيم الاسود : تنوير الاذهان في تاريخ لبنان ، المجلد الثاني ، ص ٦٢٠

من هذه العائلة فرعان في ساحل بيروت ، وفرع في القطر المصري ، وفرع في بلاد جبيل .

ومن هذه العائلة الخوري بطرس ديب ، اول رئيس من آل ديب على دير سيدة الحقلة . ترى ترجمته في غير هذا المكان .

والخوري موسى ديب ، ابن اخي الرئيس السابق ، لبس الاسكيم في دير سيدة الحقلة سنة ١٧٦٣ ، وانتُخب رئيساً للدير سنة ١٧٨٠ في حياة عمه الذي تنزّل له عن حقّه . أسّس دير المخلص المعروف « بدير الصفص » بين دلبتا وغزير ، في المكان الموقوف من اقاربه . وكان له كنيسة وفيه رهبان ، اما الآن فهو خراب . تعلّم فنّ تصوير اليد على « الراهب اللبناني » المصوّر المعروف بهذا الاسم في تلك الايام ، وله من عمل يده صور عديدة لا يزال قسمٌ منها موجوداً في دلبتا ودير الحقلة ودير مار روحانا ودير مسّيتا . صارت عليه بعض الشكاوي سنة ١٨١٦ ، فاوقفه البطريرك يوحنا الحلو عن الرئاسة ، غير انه رجع الى وظيفته بامر البطريرك المذكور سنة ١٨١٨ بعد التئام مجمع اللويزة . توفي سنة ١٨٢٦ .

وكنعان ديب ، وولده الخوري بطرس ، وحفيده الخوري بطرس . فكنعان تعلّم فنّ تصوير اليد على عمّه الخوري موسى وفاقه . له صور عديدة لا تزال منتشرة في كنائس كسروان والمتن وبلاد جبيل والبترون ، توفي سنة ١٨٨٢ . وولده الخوري بطرس تعين مدة كاتب سرّ لنيافة القاصد الرسولي لودوفيكو پياڤي ، ونال من البابا لاون الثالث عشر لقب حاجب سرّي (منسنيور) توفي سنة ١٨٨٩ . واما الخوري بطرس حفيده فهو خوري اسقف ، ورئيس دير سيدة الحقلة ، واستاذ الحقّ القانوني في كلية ستراسبورج ، له مؤلفات منها « عقد الخطبة » وكتاب « المجامع المارونية » وكتاب « *La liturgie maronite* » ومقالات عديدة قيّمة علمية وتاريخية وقانونية في بعض المجلّات الافرنسية .

والاخوة الثلاثة الاب يوسف ، والمنسنيور يوحنا ، والخوري برديوط يوسف . فالاب يوسف اتقن العلوم في غزير في مدرسة الآباء اليسوعيين وانخرط في جمعيتهم ، توفي سنة ١٨٧٨ . والمنسنيور يوحنا ترأس دير سيدة الحقلة اكثر من

عشرين سنة ، وجدد بناء دير سيدة مسكيتا ، وقسماً كبيراً من دير سيدة الحقلة ، وعدداً غير يسير من بيوت الشركاء ، وكان ماضياً في العمل بهمة شماء وعازماً على ان يُرمّم كل قديم ، غير ان الحرب الكونية ثارت فعرقلت مساعيه . ادار ابرشية بعلبك في اثناء سفر سيادة مطرانها الى رومية وباريس والاستانة قبل الحرب ، فتصرف في وظيفته بكل حكمة وتقوى ، وحل المشكلات العديدة التي اعترضته في ادارته . انعم عليه السيد الذكر البابا بيوس العاشر بلقب حاجب سري . توفي سنة ١٩٣٠ . واما الخوري اندريوط يوسف فترأس مدة سنين مدرسة الرومية الاكليريكية باسم صاحب النيطة البطريرك الياس الحويك . نقل الى العربية مجلدين للمؤلف الفرنساوي هامون دعاهما «الدرّة السنيّة في الواجبات الكهنوتية» ، وطبعهما على نفقته . توفي سنة ١٩٢٣ .

٧ عائلة الحصارنة

ان ابناء هذه الاسرة دُعوا حصارنة نسبةً لقرية حصرون التي نزحوا عنها ، وينتمون في دلبتا الى فرعين ، غير انهما في حصرون من محتد واحد هو بيت عواد . فالفرع الاول ينتسب الى الخوري يعقوب الذي جاء دلبتا حوالَ ١٦٨٠ ، والفرع الثاني ينتسب الى الحاج سليمان الذي قدم دلبتا حوالَ ١٦٩٠ .

الفرع الاول

هذا الفرع من سلالة الخوري يوحنا وينتسب الى الخوري يعقوب الحصروني الاول الذي سعى في بناء كنيسة مار يعقوب المقطّع في دلبتا كما سيمرّ بك القول . ومن ذريته ابو جبر عبود والياس وصالح . هؤلاء نزحوا عن دلبتا باولادهم فسكن الاولان المغيسل قرب ميروبا ثم انتقلا الى زواريب عين شقيق وسكن الثالث قرية الغينة في الفتوح . من هذا الفرع القس طوبيا من الرهبانية البلدية ، كان شديد الغيرة على مصالح رهبانيته وخيرها فاقتنى لدير طاميش املاكاً وافرة منها الاراضي الوسيعة في بيروت في حيّ الكرنتينا ، وقد بيع منها قسم مهم لشركة السكة الحديدية . توفي سنة ١٨٤٢ [1] . (لها بقية)

---

(١) النبذة صفحة ٢٧

وفلسفة ابن طفيل

بقلم الاب توتل اليسوعي

٣

اكتشاف وجود الله بالبرهان (١

وبموجب هذين المبدأين او المعنيين ، المادة والصورة ، كما رأينا سابقا ، اخذ يفحص سائر المخلوقات ليعرف عللها ، فاعتبر ان « كل حادث لا بد له من محدث ، فارتسم في نفسه بهذا الاعتبار فاعلاً للصورة ، ارتساماً على العموم ، دون تفصيل . وتتبع الصور التي كان قد عاينها قبل ذلك ، صورةً ، صورةً ، فرأى انها كلها حادثة وانها لا بد لها من فاعل ... فلما لاح له من امر هذا الفاعل ما لاح على الاجمال دون تفصيل حدث له شوق حثيث الى معرفته . وطلب ذلك الفاعل من جهة المحسوسات فلم يجده ، وانتقلت فكرته الى الاجسام السماوية . وانتهى الى هذا النظر على رأس اربعة اسابيع من منشئه وذلك ثمانية وعشرون عاماً .

ودرس حركة الافلاك وقرر انها صادرة عن فلك واحد وهو الاعلى

فلما انتهى الى هذه المعرفة ووقف على ان الفلك بجملته وما يحتوي عليه كشيء واحد متصل بعضه ببعض ، وان جميع الاجسام من نبات وحيوان كلها ضمنه ، وانه كله اشبه بشخص من اشخاص الحيوان ، وان ما فيه من الكواكب المنيرة هي بمنزلة حواس الحيوان ، والافلاك بمنزلة اعضائه ، وما في داخله من عالم الكون والفساد هو بمنزلة ما في جوف الحيوان من اصناف

(١) عبرنا عن افكار ابن طفيل بعباراته ذاتها ، ما امكن ، مع مراعاة واجب الايضاح والاختصار .

الفضول والرطوبات . . . تفكر في العالم بجملته هل هو شيء حدث بعد ان لم يكن ، وخرج الى الوجود بعد العدم ، او هو امر لم يزل موجودًا ولم يسبقه العدم . ولم يترجح عنده احد الحكمين على الآخر . لكنه استنتج من مضى الحدوث وجود المحدث :

«وهو الموجود المحض الواجب الوجود بذاته المعطي لكل ذي وجود وجوده فلا وجود الا هو ، فهو الوجود ، وهو الكمال ، وهو التمام ، وهو الحسن ، وهو البهاء ، وهو القدرة ، وهو العلم ، وهو هو ، كل شيء الا وجهه . فانتهت به المعرفة الى هذا الحد على رأس خمسة اسابيع من منشئه وذلك خمسة وثلاثون عامًا» .

وتبين له ان ذاته التي ادرك بها الله امر غير جسماني لا يجوز عليه شيء من صفة الاجسام ، وان كل ما يدركه من ظاهر ذاته من الجسمانية فانها ليست حقيقة ذاته . وانما حقيقة ذاته ذلك الشيء الذي ادرك به الموجود الواجب الوجود ، ودرس الاجرام السماوية ، وحكم فيها انها تعقل وتعرف الله . والتمس لنفسه سبيل الصلاح ليتأسى بالموجود الواجب الوجود مع ما فيه من كمالات .

واجب الناموس الادبي

«فاتجهت عنده الاعمال التي يجب عليه ان يفعلها نحو ثلاثة اغراض : اما عمل يتشبه به بالحيوان غير الناطق ، واما عمل يتشبه به بالاجسام السماوية ، واما عمل يتشبه به بالموجود الواجب الوجود . فالاول من حيث له البدن المظلم ذو الاعضاء المنقسمة والقوى المختلفة والمنازع المتفننة . والثاني من حيث له الروح الحيواني الذي مسكنه القلب . والثالث من حيث هو هو اي من حيث هو الذات التي بها عرف ذلك الموجود الواجب الوجود . وفي هذا التشبه الثالث تحصل المشاهدة الصرفة والاستغراق المحض الذي لا التفات فيه بوجه من الوجوه الا الى الموجود الواجب الوجود . والذي يشاهد هذه المشاهدة قد غابت عنه ذات نفسه ، وفنيت وتلاشت ، وكذلك سائر الذوات ، كثيرة كانت او قليلة الا ذات الواحد الحق الواجب الوجود

طريقة الاتصال والاتحاد بالله

وراض نفسه على اكل البقول وامتنع عن اكل الحيوانات « وجعل يطرح عن نفسه كل عناية بما حوله، وما زال يقتصر على السكون في قعر مغارته مطرقاً غاضًّا بصره ، معرضاً عن جميع المحسوسات والقوى الجسمانية ، مجتمع الهم والفكرة في الموجود الواجب الوجود . ودأب مدة طويلة ، ربما عرّ عليه عدة ايام لا يتغذى فيها ولا يتحرك ، وفي خلال شدة مجاهدته هذه ربما كانت تغيب عن ذكره وفكره جميع الاشياء الا ذاته ، فانها كانت لا تغيب عنه في وقت استغراقه بمشاهدة الموجود الحق الواجب الوجود . فكان يسوءه ذلك ويعلم انه شوب في المشاهدة المحضة وشركة في الملاحظة. وما زال يطلب الفناء عن نفسه والاخلاص في مشاهدة الحق حتى تأتى له ذلك. فغابت عن ذكره وفكره السموات والارض وما بينهما ، وجميع الصور الروحانية والقوى الجسمانية ، وجميع القوى المفارقة للموادّ التي هي الذوات العارفة بالموجود ، وغابت ذاته في جملة تلك وتلاشى الكل واضمحل وصار هباء منبثًّا ؛ ولم يبقَ الا الواحد الحق الموجود. وهو يقول بقوله الذي ليس معنى زائداً على ذاته . . . وعند ما افاق من حاله تلك التي هي شبيهة بالسكر خطر بباله انه لا ذات له يغاير بها ذات الحقّ ، وان حقيقة ذاته هي ذات الحقّ ، وان الشيء الذي كان يظن اولًا ، انه ذاته المغايرة لذات الحقّ ليس شيئاً في الحقيقة بل ليس ثم شيء الا ذات الحق».

وبقي على حالته تلك حتى اناف على سبعة اسابيع من منشئه وذلك خمسون عاماً وحينئذٍ اتفقت له صحبة أسال (ص ١٠٤)

طريقة المقرّبين لا توافق الجمهور

وكان اسال رجلًا تقياً ، اتى من الجزيرة المجاورة الى جزيرة حي بن يقظان على امل ان يجدها خالية من السكان فيمكف فيها على الحياة الروحية. وعلّم أسالُ حي بن يقظان الكلام وتحدث اليه فدهش لكيفية نشأة افكاره وتطوّرها واكتشافها اسمى عقائد الدين بطرائق خفية ، وتعرفها ما اوحاه الله من امر الثواب والعقاب والفرائض . وفرح الرفيقان لاتفاقهما على العقائد

ذاتها مع كونهما قد بلغا اليها بطرائق مختلفة : اسال ، باتخاذها من البشر بالتطعيم ، وحيّ ، بقوة عقله وفلسفته . ولما علم حيّ من رفيقه بوجود بشر في الجزيرة المجاورة يقولون بالدين وعقائده ولا يسلكون طرق الكمال في فرائضه ، فيأكلون لحم الحيوان ، ويتمشون بالملاهي ، ويتملكون الاموال عقد العزمة على القصد اليهم لتبشيرهم وتعليمهم طرق الزهد . فسافر الرفيقان وحلّا عند سلامان ، زعيم الجزيرة ، ضيفين مكرمين . واخذ حيّ بن يقظان يعلم الزعيم وخاصته ، وهم نبلاء القوم وانجباؤهم ، طرق الزهد بالعالم والاتصال بالله من غير الطرائق الحسية التي تلهي الحواس ولا تشفي غليل الارواح .

« فما هو الا ان ترقى عن الظاهر قليلاً واخذ في وصف ما سبق الى فهمهم خلافه ، فجعلوا ينقبضون عنه وتشمئز نفوسهم عما يأتي به . . . فعلم وصاحبه اسال ان هؤلاء لا نجاة لهم الا بالطريقة التي نشأوا عليها ، وان طائفتهم ان رُفعت عن بقاع الاستبصار اختلّ ما هي عليه ولم يمكنها ان تلحق بدرجة السعداء ، فتذبذبت وانتكست وساءت عاقبتها ، وان هي دامت على ما هي عليه حتى يوافيها اليقين (الموت) فازت بالامن وكانت من اصحاب اليمين ؛ واما السابقون فاولئك المقربون . فودعاهم وانفصلا عنهم وتلطفا في العود الى جزيرتهما . وطلب حيّ بن يقظان مقامه الكريم بالنحو الذي طلبه اولاً حتى عاد اليه ، واقتدى به أسال حتى اقترب منه او كاد ، وعبدا الله بتلك الجزيرة حتى اتاهما اليقين »

نقد فلسفة ابن طفيل

كل ما قاله ابن طفيل في وصف انواع الاشياء من نبات وحيوان وانسان جدير بالاعتبار ، وهو لسان حال وخلاصة ما قاله المدرسيون في القرون الوسطى عن طبيعة الاشياء ومادتها وصورتها . ولا يسعنا الا التحريض على قراءته مطوّلاً في قصة حيّ بن يقظان ، وفيه فوائد ادبية ولغوية جمة فضلاً عن اسلوبه المنطقي الفلسفي المروّض الفكر على النظر .

اما تدرّج حيّ بن يقظان الى الكشف على الموجود الواجب الوجود ،

سبحانه وتعالى ، من تعليل الحدث المقتضي فاعلاً يحدثه ، سواء اكان الكون محدثاً او ازلياً ، فهو ايضاً صفحة جميلة حقيقة ان تتخذ مادةً للشرح في المدارس.

هذا ، ولقصة حي بن يقظان وجوه تحتمل النقض رأينا ان ننوه بها فنزيل ، ان شاء الله ، ما يحول دونها ودون فهم القارئ المستقيم الرأي ، اذا ما اقبل على تصفحها . فان ابن طفيل يؤاخذ في نظرنا ، خاصةً : ١ً باهماله امر النعمة وسقوط الطبيعة البشرية . ٢ً بتفضيله المعرفة بالعقل على المعرفة بالايمان . ٣ً باعتقاده الانسان قادراً على رؤية الله في هذه الحياة ٤ً باقواله المنتجة مذهب تأليه الكل او البانتيسم

١ً ان الله خلقنا لغاية توخاها ، غير موازية لطبيعتنا البشرية ، بل متفوقة على مطلباتها وقواها . وذلك انه اختارنا للحياة الدائمة المتوقفة على الاشتراك في حياته عينها ، ونحن مدعوون لنرى الله كما يرى ذاته ، ونملكه كما يملك ذاته ، ونحبه كما يحب ذاته . وبما ان الطبيعة البشرية قاصرةٌ بقواها عن البلوغ الى تلك الغاية القصوى ، فقد اعطانا الله النعمة وسيلةً اليها . فالنعمة ضرورية لنا وهي قوة فائقة الطبيعة تمكننا من الوصول الى مشاهدة الله . فالانسان لا يسير الى غايته الفائقة بعون خارجي فحسب ، بل بمبدأ داخلي ملازم لحياة سامية ، انما هي النعمة وهي موهبة من الله مجانية ، وليست ثمر مجهودات الانسان . اما ابن طفيل فقد اهمل امر النعمة اهمالاً باتاً او كاد . نعم قد ذكر ، خلسةً ، ان الاتصال لا يتمّ الا لمن منّ الله عليهم به ، ولكن ليست تلك الموهبة بموجب كلامه لتفترق فرقاً جوهرياً عن سائر المواهب الطبيعية التي يمنّ بها الله على البشر . فنشأ حيّ بن يقظان ونما وبلغ اسمى درجات الكمال بقواه البشرية ؛ وهذا ، في تعليم اللاهوتيين ، ضربٌ من المحال ، والقول به مخالف للعقل وللوحي ، وحسبنا التنبيه عليه.

وكما ان ابن طفيل اهمل شأن النعمة كذلك ضرب صفحاً عن امر الخطيئة الاصلية وسقوط الطبيعة البشرية ، الذي يجعل انسان الفطرة عاجزاً عن اكتشاف غايته الفائقة الطبيعة ، ما لم يمنّ الله عليه بالوحي فيكلمه بكتبه المقدسة ويكشف له غوامض اسراره.

٢ً اما الوحي وما له من التعاليم المدوّنة في الكتب المقدسة او الناتجة عنها بالاجتهاد والتفسير ، فقد نجسه ابن طفيل حقه اذ جعله دون العقل الفلسفي مرتبةً ونفوذًا . والفلسفة عنده ليست « خادمة » لعلم اللاهوت ، بل هي مستقلة بذاتها ومقصودة لذاتها ، كونها بذاتها طريقة الاتصال بالله .

واذا فطن القارئ اللبيب الى كيفية نشأة حيّ بن يقظان وتعلمه وترقيه حتى بلوغه الكمال والاتحاد بالله ، لا بمعرفة الكتاب والشريعة بل بفضل عقله وفطرته ، فهم مرامي واغراض ابن طفيل من عرضه شخصية حيّ على المسرح تجاه اسال ، الرجل الذي عرف الكتابة « والملة » ولم يستطع ان يتقرب الى الكمال بما تعلمه منها ، ولكن باقتدائه بحيّ بن يقظان « حتى قرب منه او كاد » .

فنتيجة البحث اذن ، على رأي ابن طفيل ، هي ان العقل والايمان يتفقان على معرفة الله ولا تناقض بين الدين والفلسفة ، وان ذلك لصحيح . اما كون معرفة الله الفلسفية اسمى من المعرفة الدينية المكتسبة من الكتاب ، فليس ذلك بصحيح ولم يجرأ ابن طفيل على التصريح به ، ولكنه مفهوم من قصة حيّ بن يقظان . وقد تضاربت آراء المسلمين في صحة هذا الاستنتاج وهي عقدة من العقد التي حاولوا حلها في مدارسهم الفلسفية . وتفرقوا طرائق في حلها وهي التي صارت سبباً لاضطهاد الفلاسفة بينهم .

وباقي القصة مصداق للتأويل الذي سبق . لان سلامان ورجاله « هم اقرب الى الفهم والذكاء من جميع الناس ومع ذلك فلما قصد حيّ بن يقظان ان يعلمهم طرق الكمال عجز وكان عن تعليم الجمهور اعجز » . فاضطر الى الاعراض عنهم والعودة الى جزيرته .

٣ً اما بلوغ حيّ بن يقظان الاتصال بالله طبقاً للوصف الذي وصفه ابن طفيل فله وجهان : فوجه الصواب ان الله قد يمن على الانقياء القلوب من البشر بنعمة تبرّرهم وتؤهلهم الى الاتحاد به . فينالون بنعمته البرّ والاتحاد ، بعناية خاصة من لدنه تعالى . وقد يبلغون بفضل تلك النعمة درجات من الكمال سامية ويعرفون الله معرفة فائقة ، سرية ، كمعرفة القديسين ، من غير استعمال الحواس ،

عقلية محضة. ولكن بين هذه المعرفة ومعرفة الرؤيا في السماء فرق ما بين السماء والارض. وهذا الفرق لا يظهر في كلام ابن طفيل، وهو وجه الخطأ في القصة.

ثم ان معرفة الرؤيا في السماء وجهاً ازاء وجه على ما فيها من كمال الاتحاد به تعالى ومشاركته بطبيعته وسعادته، لا تفني شخصيتنا.

وضلّ ابن طفيل اذ قال ان حي استطاع ان يرى الله وجهاً لوجه، واغلظ في الغلط لما نسب الى بطله فناءه واضمحلاله في اللاهوت.

نعم لقد تدارك النقد من هذا السبيل وقال: ان من يلومه على مقالاته فقد اساء فهمه. ولكن لا سبيل الى التنصل من اللوم، ومتن الكتاب صريح كما رأينا. وقد يساعد على فهمه بمعناه الضالّ سائر ما ورد فيه من وصف ارتياض حيّ بن يقظان على التقشف والصيامات شأن البوذيين الهنود، ومن المعلوم ان هؤلاء يؤدي بهم مذهبهم الى البانتيسم او اضمحلال الكل بالله او الى تأليه الكل.

* * *

قد امتدحوا اسلوب ابن طفيل التأليفي واطرأوا لغته، ولا مغالاة بالمديح. ولا يسعنا الا ان نستحثّ الادباء على قراءته بعد ان نبهناهم على مواضع الخلل فيه. ولكن لا بد من ان نضيف الى تلك الملاحظات ان اقسام الكتاب تتفاوت سهولة للمطالعة واقتراباً للفهم. وبينما نرى بعضها رائقاً لطيفاً، سائغ القراءة، منبه الافكار، موسع النظرات، فان غيرها لم يخلع حلة الغموض ولم ينبذ تعقيد الافكار، وعلى الاخص في المقدمة، وفي المواضع التي يعرض فيها ابن طفيل الى الكلام على الحياة الروحية كأنه يضنّ بفهمها على عامة القراء. ولكن من طالع قصة حي بن يقظان وراجعها وثبت عليها بجلد واستعان عليها بما يعرف عن فلسفة القرون الوسطى فسوف يوافق الافرنج على حكمهم: انها آية من آيات القصص العربية الحكمية ومختصر فلسفة العرب.

الرسالة الحاتمية

فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة

بقلم فؤاد افرام البستاني

استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٢

الحاتمي

الاديب (تابع)

آثاره

من المعروف ان الحاتمي تصانيف عديدة اكثرها في الشعر والادب ، يذكر منها الادباء نحو خمسة عشر بين كتاب ورسالة . فرأينا ان نعدّد ما نعرفه منها عن ابن خلكان[١] ، وياقوت[٢] ، والسيوطي[٣] ، وحاجي خلفا[٤] مشيرين الى نوع كل مصنف :

١ ــ حلية المحاضرة

في صناعة الشعر ، يقع في مجلدين . ذكره ياقوت ، والسيوطي[٥] ، وابن خلكان ، وزاد : « وفيه ادب كثير » . وذكره حاجي خلفا ، وزاد : « يشتمل على آداب كثيرة »[٦]

---

١) ابن خلكان : ك.م. ١ : ٦٤٦ و٦٤٨ ٢) ياقوت : ك.م. ٦ : ٥٠٢-٥٠٣

٣) السيوطي : ك.م : ٣٥

٤) حاجي خلفا : كشف الظنون عن اسماء الكتب والفنون ، طبعة Flügel ، في اماكن عديدة سنشير اليها .

٥) في السيوطي : حلية المحاضرة ، وهو تصحيف .

٦) حاجي خلفا : ك.م. ٣ : ١١٢ ، عدد ٤٦٣٦ — وقد ورد اسم الكتاب في دائرة المعارف للبستاني : حلية الادب (٦ : ٦٢٨)

٢ ــ الطباجة

معنى الطباجة الاحمق الضخم الفدم الاكول الجامع لكل شر. قال ياقوت: وهو كتاب صنّفه للوزير ابي عبد الله بن سمدان في رجل سَمّاه عنده، وسمّى الرجل الطباجة من غير ان يصرّح باسمه. ومحور الكتاب صنعة الشعر، وقد ذكره السيوطي وسمّاه «تقريع الطباجة». ولم يذكره ابن خلكان، ولا حاجي خلفا.

٣ ــ سرّ الصناعة

في الشعر ايضاً. ذكره ياقوت، والسيوطي، وحاجي خلفا (١

٤ ــ الحالي والعاطل

في الشعر ايضاً. ذكره ياقوت، والسيوطي، وحاجي خلفا (٢.

٥ ــ المجاز

في الشعر ايضاً. ذكره ياقوت، والسيوطي.

٦ ــ الرسالة الناجية

لم يذكرها الا ياقوت.

٧ ــ مختصر المربية

ذكره ياقوت، والسيوطي.

٨ ــ عيون الكاتب

لم يذكره الا ياقوت.

٩ ــ رسالة في الشراب

ذكرها ياقوت، والسيوطي.

١٠ ــ منتزع الاخبار ومطبوع الاشعار

يدلّ اسمه على انه من نوع المجموعات. ذكره ياقوت، والسيوطي، وحاجي خلفا. الّا انه انى مصحّفاً عند هذا الاخير، فدعاه «منتزع الاخبار ومطبوع الاشعار لابي علي... الحاتمي»(٣

١١ ــ كتاب البراعة

ذكره ياقوت والسيوطي.

---

١) حاجي خلفا: ك م ٣٠:٥٩٤، عدد ٧١٣٧ - وفيه ورد اسم الحاتمي مصحّفاً بالخاتمي.

٢) ك.م. ٥:٧٩، عدد ١٠٠٨٤، وورد فيه الخالي والعاطل، وهو تصحيف

٣) حاجي خلفا: ك.م. ٦٠:١٦٦، عدد ١٣١٠٨

١٢ ــ كتاب المثل
ذكره ياقوت وقال: « وهي الرسالة الباهرة في خصال ابي الحسن النبي.»

١٣ ــ كتاب في اللغة
لم يتمّ. ذكره ياقوت والسيوطي.

١٤ ــ كتاب المعيار والموازنة
وهذا لم يتمّ ايضاً. ولم يذكره الّا ياقوت.

وهناك الرسالتان اللتان اشرنا اليهما في المتنبي. اما الاولى منهما فسمّاها:

١٥ ــ الموضحة
وتعرف بالحاتمية ايضاً. ذكرها ابن خلكان باسم الحاتمية اولاً ثم قال: « وقد سمّاها الموضحة » (١)، وذكرها ياقوت والسيوطي بعنوان: « الموضحة في مساوئ المتنبي ». وزاد السيوطي بعد ان عدّد بعض مصنفاته، كأنه يتكلم عن كتاب آخر: « الرسالة الحاتمية شرح فيها ما دار بينه وبين المتنبي واظهر فيها سرقاته. » ولا يخفى ان هاتين الرسالتين واحدة بدليل ما تقدّم من قول المؤرخين. وكذلك قول حاجي خلفا في ذكر المتنبي: « وبيّن ابو علي محمد بن حسن الحاتمي البغدادي المتوفى سنة ٣٨٨ سرقات شعره (المتنبي) وعيوبه في كتاب سماه الموضحة.» (٢). وقد تقدّم لنا وصف هذه الرسالة في التوطئة، فليراجع (٣). على اننا نشير الآن الى انها لم تُطبع بعد طبعة كاملة.

واما الرسالة الثانية فهي التي يهمّنا امرها في هذا البحث، وهي المعروفة « بالحاتمية » بحصر المعنى.

الحاتمية

سبب تأليفها

من الغريب ان نرى الحاتمي، الذي عرفناه يتميّز غيظاً على المتنبي ويستشيط حسداً له، حتى يدفعه حبّ التشفي به والانتقام منه الى قصده في عقر داره، ومناظرته تلك المناظرة التي وصفناها بانها اقرب الى المهاترة، ثم تبجّحه بانه

١) ابن خلكان: ك.م. ١: ٦٤٧
٢) حاجي خلفا: ك.م. ٣: ٣١٢
٣) اطلب مشرق شباط الماضي، ص ١٢٣

اظهر سرقات المتنبي ومعايبه في جلسة واحدة ، من الغريب ان نرى رجلاً هذا رأيه في المتنبي ، ينقلب كل الانقلاب ، حتى يُصبح من الذائدين عن عدوّه بالامس ، ومن المنافرين لخصومه في خصمه السابق ، فيقول في مقدمة رسالته : «والذي بعثني على تأليف هذه الالفاظ ... مفاخرة خصومي فيه (المتنبي) لما رأيت من نفور عقولهم عنه وتصغيرهم لقدره ...» فسبحان مغيّر القلوب !

بيد اننا اذا تفحّصنا عن الأمر رأينا ان المتنبي اظهر للحاتمي كل مجاملة وكل لين حتى في اشدّ تهجّماته ، فكان يداريه ويلاطفه ، على قول الحاتمي . ولا يهمنا سبب هذه المداراة . انما المقصود من تحقّقها انها غسلت حقد الحاتمي ، وشفت نفسه ، فاكتفى بها للدلالة على تقدّمه ، وعلى انه غلب المتنبي فامكنه الفخر بذلك لدى سيّده المهلّبي ، وسيّد سيده معزّ الدولة . فلم يرَ من حاجة الى استئناف المداوة بعد ، فأخذ يميل شيئاً فشيئاً عن حالته السابقة و « يعرف حق المتنبي ويجمل في وصفه » . وذلك بدليل قوله ، في آخر « الموضحة » ، بعد ان يطيل في وصف انتصاره على المتنبي :

« وكنت قد بلغت شفاء نفسي منه ، وعلمت ان الزيادة على الحدّ الذي انتهيت اليه ضرب من البغي لا اراه في مذهبي ، ورأيت له حقّ القدمة في صناعته . فطأطأت له كتفي ، واستأنفت جميلاً من وصفه . ونهضت فنهض لي مشيّاً الى البابَ ، حتى ركبت ، واقسمت عليه ان يعود الى مكانه . »[1]

والخلاصة ان الحاتمي اكتفى بان نفّذ رغبة المهلّبي ، وغلب المتنبي في نظر سيده هذا ، ونظر معزّ الدولة ، ونظر من حولهما من الشعراء والادباء « وشفى منه صدورهم » جميعاً . فلم يبقَ من حاجة الى انقاص قيمة الرجل .

ولعلّ الحاتمي مال ، بعد تلك الحادثة ، الى المتنبي ، وقد امن شره ، فغدا يقدّمه ويشيد بذكره . وهو انقلاب قد نراه احياناً في من فُطروا على الاحساس السريع الانفعال ، والشعور المتقلّب بتقلب الاحوال . ولكن مهما يكن من امر فلا يخلو هذا الانقلاب من الغرابة .

---

١) ياقوت : ك . م . ٦ : ٥١٨ .

طبعاتها

لا نعرف للرسالة الحاتمية الّا طبعتين. ظهرت الاولى منهما في مجموعة للقس انطون بولاد ، دعاها « راشد سوريا » وطبعها في بيروت سنة ١٨٦٨ ، وهي ذات ٢١٧ صفحة من القطع المثمن المتوسط. والرسالة تقع في ١٨ صفحة منها، (ص ٢٥—٤٣) ولا عنوان لها ولا خاتمة . بل تبدأ بما يلي :

« قال الامام ابو علي محمد بن الحسن المظفر الكاتب النوي المعروف بالحاتمي لما رأيت ابا الطيب احمد بن الحسين ابن الحسن الشاعر النوي المعروف بالمتنبي قد اتى في شعره على اغراض فلسفية ومعاني منطقية اردت الموافقة بين ما توارد به في شعره مع ارسطو في حكمه لانه ان كان ذلك عن فحص ونظر . . . الخ »

ولا نعرف النسخة التي اخذت عنها.

وفي هذه الطبعة ٧٩ مقابلة تحتوي كل منهـا على فقرة من اقوال ارسطو وبيت من حكم المتنبي.

وقد اطلعنا في فهرس الكتب العربية في المتحف البريطاني[1] على ذكر طبعة للرسالة المذكورة في بيروت ، ذات ١٨ صفحة من القطع المثمن . وهو يرجح زمن طبعها سنة ١٨٦٠، الا انه لا يجزم بذلك بدليل علامة الاستفهام التي يردف بها الرقم المذكور . ونحن لا نعرف هذه الطبعة ، بل اننا نميل الى القول انها هي طبعة القس انطون بولاد نفسها ، اقتطعت من مجموعتـه ، وافردت على حدة بدليل مشابهتها تلك الطبعة في عدد الصفحات وقطعها ، ومحـل طبعها. وبدليـل ان احداً من الادباء ومؤرخي الادب لم يُشر الى هذه الطبعـة . فبروكلمان[2] ، والاب شيخو[3] ، لا يذكران الّا طبعـة القسطنطينية ، وهي

(١ A. G. Ellis, *Catalogue of arabic books in the British Museum. vol. II, London, 1901. col. 182.*

(٢ C. Brockelmann, *Geschichte der arabischen Litteratur, I Band, Weimar, 1898, p. 88.*

(٣ P. L. Cheikho s. j., *Catalogue raisonné des manuscrits de la Bibliothèque Orientale, IV, Philosophie et Ecriture sainte — Beyrouth, 1925. p. 213.*

التي سنتكلم عنها ؛ وجرجي زيدان[1] لا يذكر الا طبعة القس انطون بولاد اليسوعية .

اما الطبعة الثانية فظهرت في مطبعة الجوائب في القسطنطينية ، سنة ١٣٠٢ هـ. (١٨٨٤) ، في مجموعة ادبيـة ذات ٢٩٦ صفحة بقطع مثمن كبير ، دُعيت « التحفة البهية والطرفة الشهية » ، واحتوت على ١٧ رسالة « مُنتخبة تشتمل على ادبيات معجبة ونوادر مطربة » ، وكانت الحاتميـة الحادية عشرة منها ، وقعت في ١٦ صفحة (١٤٤—١٥٩) وعنوانها : الرسالة الحادية عشرة وهي الرسالة الحاتمية للعلامة ابي علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي » ، وبدؤها :

« بسم الله الرحمن الرحيم
« وما توفيقي الا بالله

« قال ابو محمد (٢ بن الحسن بن المظفر الحاتمي رحمه الله اما بعد . . . والذى بعثني على تأليف هذه الالفاظ المنطقية والآراء الفلسفية التي اخذها ابو الطيب احمد بن الحسين المتنبي مفاخرة خصومي فيه لما رأيت من قصور عقولهم عنه وتصغيرهم لقدره . . . ووجدنا ابا الطيب احمد بن الحسين المتنبي قد اتى في شعره باغراض فلسفية ومعانٍ منطقية فان كان ذلك منه عن فحص ونظر . . . الخ »

وهذه المقدمـة ، الا بعض اختلافات طفيفة ، هي الواردة في مخطوطتي المكتبة الشرقية اللتين سندرسهما . وقد أُخذت الطبعـة المذكورة عن نسخة كتبت سنة ٦٤٤ هـ. (١٢٤٦) بدليل خاتمتها وهي :

« تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبيه سيدنا محمد وآله الطاهرين ، وسلم تسليماً كثيراً كتبت في شهور سنة اربع واربعين وستمائة (٦٤٤) »

وتحتوي هذه الطبعة على ٩٧ مقابلة ، في كل منها فقرة من حكم ارسطو وبيت للمتنبي ، الا اربع مقابلات منها ورد في كل منها بيتان . وهي بالاجمال اقرب الى مخطوطتي المكتبة الشرقية من الطبعة السابقة التي لا نعلم مصدرها .

---

١) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الثاني ، مصر ١٩١٢ ، ص ٢٤٨

٢) ابو محمد : كذا ، والصواب : ابو علي محمد ، كما في العنوان ، وقد سقطت لفظة « علي » في الطبع دون شك .

نسخها الخطية

تعرف للرسالة الحاتمية اربع نسخ خطية ، في العالم العربي . منها واحدة في مكتبة غوطا (المانية) رقمها ٢٢٣٤ ، وواحدة في مكتبة مدينة الجزائر رقمها ٥٦٦ . وقد ذكر الاثنتين بروكلمان في تاريخه[1] . اما مخطوطة دار الكتب الكبرى في مصر فتحتوي على الرسالة الحاتمية الاولى المعروفة « بالموضحة » ، لا على حاتميتنا هذه .

واما المخطوطتان الباقيتان فهما في المكتبة الشرقية ، في كلية القديس يوسف ، وعليهما بنينا طبعتنا . فيحسن بنا ان نقول كلمة في كل منهما .

المخطوطة الاولى

رقم الاولى ٣٤٢ ، وهي من مجموعة الآثار الفلسفية . تظهر في كرّاس جميل ، حسن التجليد ، قويّ الجلد ، محاط ، في دفتيه ، بأطار ذهبي مع نقشة ذهبية في الوسط . يحتوي على ٥٣ ورقة مكتوبة اكثرها على صفحة واحدة . والورق صقيل ، كامد اللون ، يبلغ طول الصفحة منه ٢٠ سنتيمترًا بعرض ١٦ سنتيمترًا . اما القسم المكتوب منها فيبلغ ١٣–١٤ سنتيمترًا بعرض ١٠–١٠½ . والصفحة المكتوبة محاطة باطار مزدوج ملوّن بالاحمر والازرق والاخضر في المقدمة ، وبالاحمر في سائر الرسالة . والخط نسخي واضح جليّ ، على قسط من الجمال ، متوسط الكبر في النثر يبلغ علوّه ٧–٩ مليمترات . اما في الشعر فهو كبير يبلغ علوّه السنتيمترين . وقد أفردت فيه العناوين من مثل : « قال ارسطو » و « قال المتنبي » فذُكرت في وسط السطر بحبر تارة احمر وطورًا اخضر ، بين نقشتين خضراوين مع الحبر الاحمر ، وحمراوين مع الاخضر . اما سائر الكلام فمكتوب بالحبر الاسود . وقد زُينت الصفحة الاولى بتصاوير غريبة من زهور ، ونبات ، وطيور ، مع حيّتين ، وحيوان يُشبه الثعلب وآخر

(١) Brockelmann, *op. cit. I, 88.*

من النوع نفسه. كل ذلك بالوان عديدة من اخضر واحمر واسود وفضي او رصاصي. ولم يُكتب شيء في هذه الصفحة. اما الصفحة الثانية ففيها العنوان محاطاً بالاطارات المذكورة، وبزهور متعددة الالوان، مع طائرين واحد في كل زاوية من اعلى الصفحة. وسنصوّر هذه الصفحة مع صفحة اخرى من الرسالة مثالين من المخطوطة المذكورة.

وفي آخر الورقة ٥٢ تنتهي الرسالة، فيزيد عليها الناسخ في الورقة ٥٣ بعض ابيات لا صلة بينها وبين ما تقدّم، ويذكر اسمه وتاريخ نسخه اياها بقوله:

« قد علّقها بيده أرذَل العبيد ميخائيل ولد [حنا فخر] في ١٥ ذ الحجة ختام سنة ١١٧٤ الف ومائه واربعة وسبعين للهجرة. »

اي ١٨ تموز ١٧٦٠، وقد وضعنا لفظتي « حنا فخر » بين معقفين لانهما تظهران في النسخة كانهما أُضيفتا بعد ان حُكّ الكلام الذي كان محلهما.

وقد دخلت هذه المخطوطة في ملك المكتبة الشرقية سنة ١٨٩٧، اشتراها المرحوم الاب لويس شيخو في بيروت ووصفها، مع المخطوطة التالية، في القسم الرابع من وصفه لمخطوطات المكتبة الشرقية.[1]

تحتوي هذه المخطوطة على ٩٩ مقابلة، في كل منها فقرة لارسطو وبيت للمتنبي، الا اثنتين منها اشتملت كل منهما على بيتين.

هذا ما خصّ مظهر المخطوطة. اما قيمتها الداخلية فحسنة بالاجمال لان التصحيف فيها قليل، وضبطها من حيث اللفظ موافق الا في ما ندر. الّا ان في ضبطها النحوي بعض الاضطراب، فالكاتب شكّل فيها كل الكلمات تقريباً فوقع في هفوات عديدة كان من السهل ان يتجنّبها. ومهما يكن من امر فالمخطوطة حسنة يصحّ الاعتماد عليها.

المخطوطة الثانية

اما المخطوطة الثانية فرقمها ٣٤١، وهي ترقى الى اوائل القرن التاسع عشر. وتشتمل فضلًا عن الرسالة الحاتمية على مجموعة حكمية فلسفية هذا ترتيبها:

(١ P. L. Cheikho, *op. cit. IV, p. 213 et 214*

١ – الرسالة المعروفة بالخاتمية (ص ١–١٢)
٢ – جواب النفس يونس عن سؤال في تقدير الله للعمر والرزق (ص ١٢–١٤)
٣ – رسالة هرمس الحكيم الثالث الحكمة في مخاتبة النفس ورجوعها الى سبيل الخلاص (ص ١٥–٥٠)
٤ – رسالة افلاطون الحكيم الى فوفيريوس في حقيقة ثمي الفم والحم . . . (ص٥١–٥٨)
٥ – يلي ذلك جداول في الاشهر العجرية والمسيحية والساعات والنجوم والابراج وما شاكل (ص٥٩–٦٤)
٦ – وقد زيد ، بعد ان ختم الناسخ الكرّاس في الصفحة ٦٤ ، وصية آدم لابنه شيث قبل وفاته (ص ٦٤–٦٧)

فيظهر مما تقدّم ان اوراق المخطوطة ٣٤ مكتوبة على الصفحتين . والكرّاس مجلّد بالقماش تجليداً حسناً ، وورقه خشن متين منفصل قليلاً بالرطوبة ، يبلغ طوله ١٩½ سنتيمتراً وعرضه ١٣½ سنتيمتراً ، وطول المكتوب من الصفحة ١٥½ سنتيمتراً بعرض ١٠½ سنتيمترات ، يدخل فيه من ١٩ الى ٢٢ سطراً محاطة باطار بسيط . اما الناسخ فهو ميخائيل بن شاهين طراد كما يتضح من خاتمة الكرّاس (ص ٦٤) ، وهي :

« قد كمل نسخ هذه الكراسه التي تسمى سقيت (سقية) الفؤاد يد ناسخها الفقير واخطا العباد عبده ميخائيل شاهين طراد سنة ١٢٢٦ » (١٨٠٩)

وخطّه من نوع النسخي واضح على الغالب ، ولكنه بعيد عن الجمال . وكله بالحرف الاسود .

اما الرسالة الخاتمية فتقع في اول الكراس في ١١ صفحة ونصف الصفحة ، وقد اختُصرت منها افعال «القول» ، في «قال ارسطو» ، و«قال المتنبي» فلم يذكر الا اسم الحكيم والشاعر في اول السطر ، بحرف كبير في الصفحة الاولى ، وبحرف اعتيادي في ما يليها من الصفحات . وقد احتوت على ٩٨ مقابلة في كل منها فقرة لارسطو وبيت للمتنبي ، الا اثنتين ورد في كل منهما بيتان . ومادّتها صحيحة بالاجمال ، الا ان تاءات الاسماء المؤنثة وردت كلها تقريباً مبسوطة . فنرى في العنوان مثلاً : « الرسالت المعروفت بالحساميت فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمت »

(لها صلة)

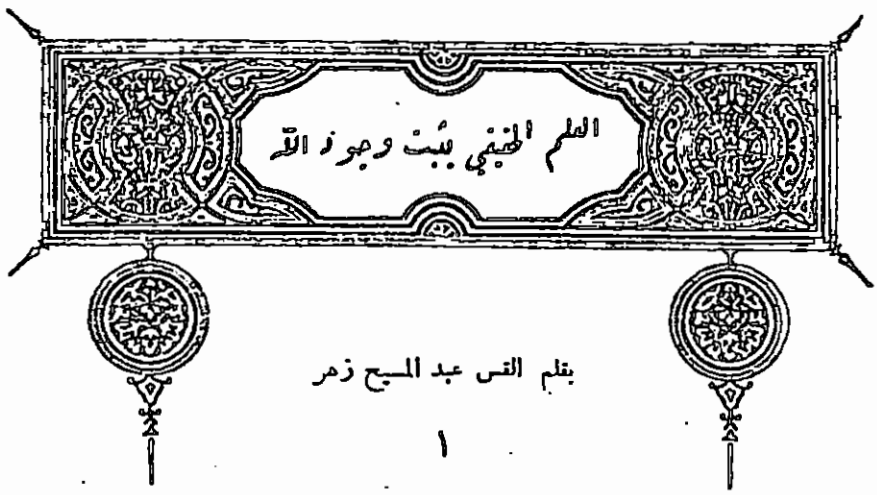

بقلم القس عبد المسيح زهر

١

ان اعتقاد وجود اله يكافئ الخير ويجازي الشرّ اعتقاد عامّ شامل كل الازمان والاماكن والشعوب والامم والقبائل المنبثة على وجه البسيطة . وقد اقرّ هذا الاعتقاد التاريخ ، واثبته العلم ، وتحققه الجوّالون في اسفارهم ورحلاتهم ، وتمسك به النظّار والعلماء واصحاب القلوب ، على مرّ الازمان واختلاف البلاد والاوطان . نعم ان معرفة الاله قد تشوّهت عند بعض الشعوب ، وظهرت في مظاهر متباينة متنوّعة ، وذلك لشدة ما علق بالعقول من الاوهام ، وتعارض المذاهب في تعيينه وتعريفه وتسميته ، ولكن هذا الضلال على طغيانه لم يستطع طمس ودرس ذكر الاله من الافئدة ؛ حتى ان القبائل المتبدّية المتوحّشة اعتقدت وجوده اسوة بالشعوب المتحضّرة المتمدّنة ؛ وآمن به الامم الخالية كما تؤمن به اليوم الامم الباقية . ولما كان هذا الاعتقاد راسخاً كل الرسوخ ما استطاع الكفر ، بالرغم من شدة حملاته ، نزعه من القلوب . قال روبسبير : « ان الامة تعتقد وجود الكائن الاعظم . » على انه ، وان زاد عدد الكفّار في الاجيال الاخيرة ، واجتهد المعطّلون في نسف صرح الدين ونفي الله من المجتمع ، فما زال المؤمنون بالله الاكثر عددًا حتى انك لا تجد في المئة كافرًا واحدًا بالحقيقة وحصر المعنى . قال جول سيمون العقليّ : « لستُ تجسر على عدّ كافر واحد بين مئة اب عائلة . »[1] بل ان مصنفات اكثر العلماء ، حتى الكفار منهم ، حافلة بذكر الله والدين بالرغم

[1] Jules Simon, *L'école*, 1885.

من مطاعن اهل الكفر والضلال . ولله در كاترفاج اذ قال :« ان الكفر حيثما حلّ يكون متقلقلاً غير ثابت . وقد نجا من غائلته اكثر شعوب الارض في كل مكان وزمان اذ انه ما من سلالة كبيرة من السلالات البشرية بل ما من طائفة منها كافرة .»[1] وقال القديس توما الاكويني :« من المستحيل ان يكون باطلاً امر قد اجمع عليه البشر . وفي الحقيقة ان الرأي الضالّ منسوب الى ضعف العقل لا الى طبيعة العقل نفسه . فمن خاصيات هذا الرأي ان يكون عرضيًّا ، وما كان عرضيًّا لا يكون عامًّا . اذن في امور الدين وحسن الاخلاق لا يمكن على الاطلاق ان يكون باطلاً الحكم الذي يستصوبه جميع البشر ويتفقون عليه . »[2]

على ان بعضهم نسبوا اعتقاد وجود الله الى التربية . وكان الامام الغزّالي قصد الى هذا المعنى حين قال :« كل مولود يولد على الفطرة ، فابواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه .»[3] فكأنّ الوالدين هم العامل الاولي على زرع بذر المعتقد في نفوس اولادهم . لسنا ننكر ان للتربية تأثيرًا في تلقين الافكار وزرعها في العقول منذ الصبا وطراءة السن ؛ والتجربة والاختبار اصدق دليل على صحة هذا القول ، ولكن التربية لا تستطيع وحدها خلق الافكار وانماءها وتركيبها؛ ومهما كانت كاملة تعجز عن تعليل اعتقاد البشر وجود اله . فيلزم من ذلك ان تكون نتيجتها اوهاماً تعلق وتسدك بالعقول . والحال ان الوهم من شأنه الحؤول والتغيّر على ممرّ الازمان وتعاقب الاجيال . اما اعتقاد الاله فما زال ضد فطرة الانسان الاول الى وقتنا الحاضر ثابتاً في كل آن وزمان ، مؤيّداً بحجج افاضل العلماء والنظار . فلو كان محض وهم لدثر على توالي الاجيال ، ونسخه من العقول العلماء الذين قاموا في كل الشعوب على كرور الاعصار .

وذهب غيرهم الى ان اعتقاد وجود الله منشؤه الخوف . قال لكرسيوس كاروس :« ان الخوف الاول احدث الآلهة في العالم . » وذلك ان البشر لما رأوا الحوادث الغريبة التي تجري في الطبيعة ، ولا يعلمون اسبابها ، نسبوها الى

١) النوع البشري الفصل ٣٥ ٢) ضد الامم ٣ : ٢٤

٣) ميزان العمل ، وجه ٦٠

كان سام ، فانتشر وتفشى اعتقاد وجود الاله .» ولكننا نسألهم ان يشرحوا لنا كيف سرى هذا الاعتقاد وتسرب الى شعوب الارض كافة على اختلاف نزعاتها ، فتيقنوا وجود اله صالح رحيم ؟ بل كيف تحققت القبائل المتوحشة الغارقة في لجج الجهل وجود اله يحييها ويقيها ضير الارواح الشريرة التي تطلب الحاق الضرر بها على الدوام ؟ فلو كان اعتقاد الله ناشئاً عن الخوف لزال هذا الخوف وانمحى على توالي الازمنة ، ولاسيما بعد ما عرف العلماء اسباب الخوارق الطبيعية . فكان في طوقهم ان يزيلوا بالتدريج هذا الخوف من القلوب . بيد ان العلماء انفسهم ، على وجه الاجمال ، قد عززوا هذا الاعتقاد وزادوه رسوخاً في القلوب كما سنرى من شهاداتهم .

وادّعت فرقة ان الدين من اختراع المشترعين والكهنة حملاً للرعايا على مراعاة السنن والشرائع وجراً للمنافع والمغانم . فاذا كان ساسة الامم والمشترعون ادركوا تأثير المعتقد في مراعاة النظام وحفظ الشرائع والسنن ، وكان منذ القديم كهنة ، فهذا دليل على ان الدين كان قبل المشترعين والكهنة . فاذن هم ما اخترعوه بل كان قبلهم موجوداً .

وزعمت فرقة اخرى ان البشر من عند آخرهم غلطوا في مسائل كثيرة . أما اعتقدوا دوران الشمس وثبوت الارض ؟ فاعتقادهم وجود الله من هذا القبيل . ولكن شتان ما بين الغلطين ! الغلط الاول لا تعلّق له بحياة البشر الادبية وغايتهم وسعادتهم . اما الغلط الثاني فضرّ لهم في اهم مصالحهم المتوقف عليها شقاؤهم او راحتهم وسعادتهم . فاذن ليس في امكان كائن من كان ردّ الشهادات التي اجمع عليها النوع البشري واكابر العلماء والنظار وارباب القلوب .

اكثر العلماء اعتقدوا وجود الله

ان البشر على وجه العموم اعتقدوا دائماً في كل الاحوال والازمان وجود الله . ولكن قد قام فيهم من اغمضوا اعينهم واصموا آذانهم لئلا يروا ويسمعوا الحق . على ان كفر هؤلاء الاشقياء ليس بدليل على تعمقهم في العلم ومعرفتهم ما لم يعرف غيرهم ، بل هو منسوب غالباً الى افراطهم في الفواحش والخبائث ،

٢ً اما الوحي وما له من التعاليم المدوّنة في الكتب المقدسة فهم رف من قذاه عنها بالاجتهاد والتفسير ، فقد نجسه ابن طفيل حقه اذ جعله دونهم بذنوبهم ، ويباقيهم مرتبةً ونفوذًا . والفلسفة عنده ليست « خادمة » لعلم اللاهوت كافر بالله الا ويطلق مستقلة بذاتها ومقصودة لذاتها، كونها بذاتها طريقة الاتصال بالله. ورؤية انسان مقتصد واذا فطن القارئ اللبيب الى كيفية نشأة حيّ بن يقظان وتعلما الانسان اذا تكلم بلوغه الكمال والاتحاد بالله ، لا بمعرفة الكتاب والشريعة بل[٢] وفطرته ، فهم مرامي واغراض ابن طفيل من عرضه شخصية حفاف الله ، فلن نشك تجاه اسال ، الرجل الذي عرف الكتابة « والملة » ولم يستطع ، والمشي في طرق الكمال با تعلمه منها ، ولكن باقتدائه بحيّ بن يقظان « حتى نير السلطة ، وقراءة حقائق الامور ، كل كاد » .

فنتيجة البحث اذن ، على رأي ابن طفيل ، هي ان العقل ، هوى الكفر . قال على معرفة الله ولا تناقض بين الدين والفلسفة ، وان ذلك لصحاشباب والانقباض من معرفة الله الفلسفية اسمى من المعرفة الدينية المكتسبة من الغير مثلي يعترفون ، ان ذلك بصحيح ولم يجرأ ابن طفيل على التصريح به ، ولكنه به الشديد المضيق على حيّ بن يقظان . وقد تضاربت آراء المسلمين في صحة هذا منها اقامة البراهين عقدة من العقد التي حاولوا حلها في مدارسهم الفلسفية . وتفر طها سيله ، وبلغت حلها وهي التي صارت سبباً لاضطهاد الفلاسفة بينهم .

وباقي القصة مصداق للتأويل الذي سبق . لان سلامان ورسلماء المتهوسين بالعلوم الى الفهم والذكاء من جميع الناس ومع ذلك فلما قصد حيّ الاشياء مجردة عن يعلمهم طرق الكمال عجز وكان عن تعليم الجمهور اعجز ». فاضه الحثة . فاذن الكفر على خلاف ذلك عند عنهم والعودة الى جزيرته .

٣ً اما بلوغ حيّ بن يقظان الاتصال بالله طبقاً للوصف الذي . فمن هولاء القوم طفيل فله وجهان : فوجه الصواب ان الله قد عين على الانقياء الـ« اني اقسم لكم ان بنعمة تبررهم وتوهلهم الى الاتحاد به. فينالون بنعمته البر والاتحاديا. القلب اذ لا ارانى من لدنه تعالى . وقد يبلغون بفضل تلك النعمة درجات من *Caractères*, ويعرفون الله معرفة فائقة ، سرية ، كمعرفة القديسين ، من غير

ناقصاً اذا اعتقدت ما اعتقد بسكال وراسين وبوسويه . فانا متواضع او اني اجتهد في تحصيل التواضع ... اعلموا اني اعرفكم واحبكم واحب القديسين والكهنة والراهبات ... ولكني لست بقادر ان اتمدى هذه الطاقة .»[1]

لا ريب اذن انه قام على ممر الازمان في المجتمع البشري اناس عرفوا بذكائهم وتفوقهم في العلوم ، واعتقدوا وجود كائن اعظم ابدع العوالم المنظورة وغير المنظورة بقدرته وقوته ، وهو علة العلل وبارئ المبروءات . فمن الاقدمين هوميروس وشيشرون وثيرجيل وسوفكل وسقراط وكزنفون وافلاطون وارسطاطاليس وجالينوس الطبيب . فهذا بعد تسريحه يد رجل صاح من فوره : « اني بعملي هذا ما صنفت كتاباً بل اشدت بنشيد اكراماً للاله .»

واذا عجنا بالفكر على الازمنة التي مضت بعد مجيء السيد المسيح ، له المجد ، استطعنا ان نذكر اثناغوراس ، ويوستينوس الشهيد الذي اشتهر بدفاعه عن الدين المسيحي ، وايريناوس اسقف ليون ، وارنوب المدافع والمؤرخ ، واقليمس بدر مدرسة الاسكندرية الزاهر ، وترتليانوس الفقيه المدافع ، واوريجنس الذي لم يستطع احد ان يشق غباره ويلحق آثاره ، واوسابيوس ابا التاريخ الكنسي ، ومينوسيوس فليكس الفصيح ، ولكتنس ، وقبريانس ، وغريغوريوس اسقف قيصرية الجديدة ، وكيرلس الاسكندري ، وباسيليوس القيصري ، واثناسيوس ، وغريغوريوس النزيزي ، ويعقوب النصيبيني ، وافرام السرياني ، واسحق ، ويوحنا فم الذهب ، وامبروسيوس ، واوغسطينوس ، وايرونيمس ، وهيلاريوس ، وغريغوريوس الكبير ، وكسيدروس ، واجينارد مستشار كارلس الكبير ومؤرخه الشهير ، ورابان مور رئيس اساقفة ميانس ، ويوحنا سكوت اللاهوتي ، وهينكمار رئيس اساقفة رمس ، وفلودوارد مؤرخ كنيسة رمس ، وغريغوريوس اسقف تور اول مؤرخي الافرنج ، وانسلمس العلامة اللاهوتي ، والبرتس الكبير الفيلسوف واللاهوتي ، وتوما الاكويني شمس المدارس ، ويونوتورا العلامة السرافي ، وبوسويه الخطيب المصقع والكاتب المجيد ، وفنلون مؤدب دوق بورغونية ، وكوبرنيك الفلكي الشهير الذي وضع

(١) Jules Lemaitre, *Les contemporains*, 6e *série*, *p.* 73.

كتاباً برهن فيه على دورة الارض على نفسها وحول الشمس، وباكون الملقب بالعلامة العجيب ، وغليله مكتشف نواميس الثقل والقائل بدوران الارض حول الشمس، وكبلر الفلكي الشهير مكتشف نواميس سير السيارات، وديه كارت الفيلسوف ، وپسكال البارع بالهندسة والكاتب الشهير ، ومليرانش الكاتب الفيلسوف، ونيوتن الفلكي والرياضي والطبيعي مكتشف شرائع النور والبصر والتجاذب ، وليبنتز الفيلسوف الرياضي ، واولر الرياضي الذائع الصيت ، وآخرين كثيرين من فحول العلماء يطول بنا الشرح اذا اردنا عدّهم .

هذا وان الحكيم دنرت (Dennert) الالماني البروتستنتي عدّ ٣٠٠ من العلماء الذين عاشوا في القرون الاربعة الاخيرة ، وقد اختار هذا العدد من بين جهابذة اهل النظر الذين نالوا القدح المعلّى في انواع العلوم والمعارف الطبيعية ، والرياضية ، والفلكية ، وطبقات الارض ، والنبات ، والتشريح وغيرها . فكانت زبدة مخضه انه وجد ٢٤٢ يؤمنون بالله ، و ٣٠ معطّلين او غير مبالين بامر الدين ، و ٣٨ ما عرف لهم مبدأ . النتيجة ان ٩٢ بالمئة من العلماء يؤمنون بالله . واكثرهم كان متمسكاً بعقيدته اشد التمسك [1] . ثم وجّه هذا الكاتب نظره الى الجيل التاسع عشر خصوصاً ، واغرق في البحث والتنقيب عن احوال علمائه المحققين ، فعدّ ١٦٣ عالماً وجد ١٢٤ منهم مؤمنين ، و ٢٧ آراؤهم الفلسفية غير معروفة ، و ١٢ كافراً كتينـدال وهوكسلي ومولسكوت وڤوغت وبوخنر ، او غير مبالين بامر الدين مثل اراغو وغويت ودروين [2] .

فمن هذا يُستدل على ان مشاهير العلماء الذين يُرجع اليهم في اهم المشكلات ، ويُستصبح بضوء آرائهم في المعضلات ، كانوا مؤمنين بالله . نعم انهم كما قال رنان : « غيّروا اساس العقل البشري بتغييرهم تصوّر الكون وشرائعه » [3] ، ولكنهم بالرغم من ذلك اقروا بوجود الله وعرفوه ربّاً وخالقاً ومدبّراً لهذا الكون الذي تحار في حسن نظامه اكبر العقول والبصائر .

---

(١) *Cours d'apologétique chrétienne, par le* P. W. Devivier *s. j. Paris*, 1914.

(٢) *Die Religion der Naturforscher, Berlin 1906.*

(٣) *Revue des Quest. scientif.*, 1901, *p.* 66.

(له صلة)

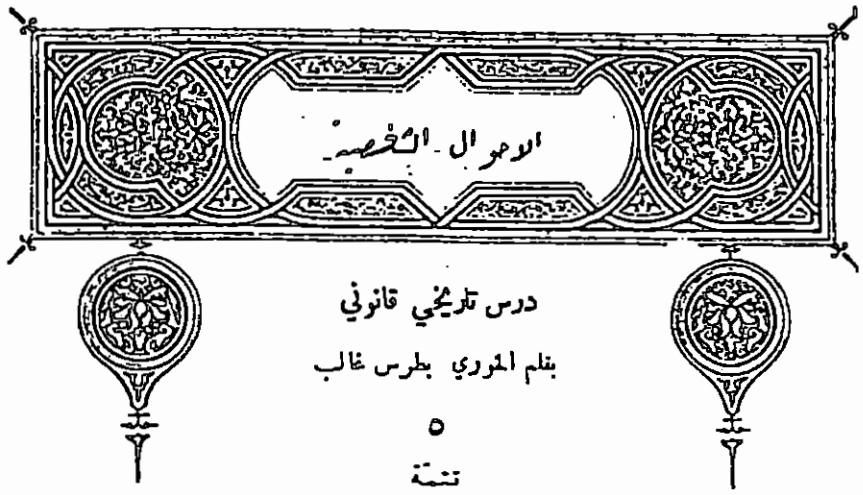

درس تاريخي قانوني

بقلم المحامي بطرس غالب

٥

تتمة

٨

في المهر

٤٥ — المهر هو ما يؤديه الخطيب لخطيبته قبل الزواج لقاء بكارتها ، ويمكن ان يكون مالاً ثابتاً او منقولاً ، يتعهد الخطيب كتابةً او خطاً امام شهود عدول بان يقدمه لخطيبته .

٤٦ — لم يعيّن الشرع الكنسي كمية المهر ، ولذلك يجب اعتماد نص التعهد ، وعند عدمه يُرجع الى الاصطلاح المحلي ، ويقدّر عادة في التعهدات الخطية بثلث البائنة .

٤٧ — الزوجة التي لا بائنة لها يحقّ لها المهر ، ومثلها الزوجة التي لا تستطيع الاستناد الى تعهد خطي او قولي . اما الارملة فلا حق لها بالمهر ما لم يُقرّر خلاف ذلك في تعهد خطي .

٤٨ — المهر يصبح ملك الزوجة من حين تكميل الزواج . اما ادارته واستثماره فيبقيان في يد الرجل فيما يختص بالاموال الثابتة ، اما الاموال المنقولة فله مُلْ التصرف بها .

٤٩ — ليس للزوجة ان تداعي بمهرها الا بعد الهجر ، او بعد حلّ وثاق الزواج ، او موت الزوج . وتخسره اذا زنت . وحقوقها بعد وفاتها ترجع الى ورثتها . فاذا كان المهر مالاً ثابتاً يسلّم عيناً ، اما اذا كان مالاً منقولاً

وكان الرجل قد تصرّف به فتسلّم قيمته.

٥٠ — اذا فقد التعهد او لم يتم عقد ، وتعذّر على الزوجة ان تثبت بشهود مهرها الخطي او الموعود به ، فللمحكمة الروحية ان تقدر مقداره ، بعد التحقيق ، بنسبة امثال الزوجين.

٥١ — وعلى المحكمة ان تحلّف الزوجة اليمين انها لم تسترد مهرها وذلك قبل ان تصدر الحكم.

٩

البائنة واموال الزوجين

٥٢ — البائنة هو ما تأتي به الخطية لخطيبها رأساً او بواسطة ، سواء كان ذلك اموالاً ثابتة او منقولة ، لكي تساعده على تحمل اثقال الزواج . وقد يقدم الرجل لقاء ذلك لزوجته ما يقابل البائنة ، لكنه يستبقي لنفسه ادارته واستثماره مدة الزواج.

٥٣ — يمكن ان تكون البائنة مالاً ثابتاً او منقولاً . فاذا كانت مالاً ثابتاً ، يستلم الزوج ادارته واستثماره ولا يملك بيعه . اما اذا كانت مالاً منقولاً ، فيملك ملك التصرف به . وهذه الحال هي حال البائنة ، اذا كانت مالاً ثابتاً مسلماً الى الرجل بعد تقدير قيمته وتعيينها.

٥٤ — ليس للزوجة ان تطالب ببائنتها في خلال الزواج ، ولا ان تطلب ما يقابلها ، ما لم تكن البائنة في خطر ، كما لو افتقر الرجل بذنبه فعرّض البائنة للهلاك ؛ او كان للزوجة سبب مشروع لاسترجاعها ، كما لو كانت بحاجة اليها لمعيشتها ، او لمساعدة من تلتزم بمساعدتهم ؛ او تيسّر لها ان تستبدلها بما هو اوفر ريعاً منها.

٥٥ — اذا انحلّ الزواج بالموت ، او باكتشاف مانع مبطل ، تعود البائنة للزوجة ، او لورثتها ؛ وما يقابل البائنة يعود للرجل او لورثته . اما اذا وقع الهجر لذنب ، حرم المجرم البائنة او ما يقابلها ، لمنفعة البريء ، ما لم يكن هناك تعهد او شرط يقضي بعكس ذلك.

واما اذا كان للمذنب اولاد شرعيون ، فاليهم يعود ملك عين البائنة او ما يقابلها ، ويبقى حق الاستثمار للبريء . ويستثنى من هذه العقوبة الذنب الذي عفى البريء عنه ، والزنا المادي او الذي رضي عنه الزوج ، وزنا الزوجين.

٥٦ — البائنة اذا كانت مالًا ثابتًا تعاد عينًا . ويعاد ثمن البائنة التي تكون مالًا منقولًا ، اذا كان الزوج استعمله ، وثمن البائنة اذا كانت مالًا ثابتًا مسلمًا الى الزوج بعد تقدير ثمنه اذا كان قد باعه .

٥٧ — ان الاموال التي تملكها الزوجة ، ما خلا البائنة ، هي في مطلق ملكها وتصرفها ، وليس للرجل ان يتدخل في شأنها ما لم تفوض اليه زوجته هذا الامر تفويضًا خاصًا . واذا انحلّ الزواج او وقع الهجر ، فان هذه الاموال تعاد بتمامها الى الزوجة ، وان مذنبة.

٥٨ — ان ما هو مختصّ باحد الزوجين وعوائد امواله او عمله الخاص هو ملكه الخاصّ دون سواه. اما الهدايا المقدمة للزوجين ، ومحصول العمل المشترك ، فيجب ان يقسم بينهما بالتساوي.

١٠

افتضاض البكارة

٥٩ - اذا حصل افتضاض بكر بالاكراه او الخداع او الخوف الشديد الجائر ، او بالتوسل والتملق المزعج ، ولاسيما اذا كان الفاعل ذا نفوذ ، فعلى المذنب ان يجهز الابنة بائنة او يتزوجها حتى لو لم يتقدم الذنبَ الوعدُ بالزواج.

٦٠ — اذا تعذّر الزواج بسبب رفض البكر المفضوضة او اهلها فعلى المفتضّ ان يجهزها بائنة ، وليس له ان يصرّ على الزواج.

٦١ — على المذنب ان يجهز الابنة المفضوضة بائنة ، ولو كان لها بائنة من غير وجه ، او لم تُصب بغير الضرر المذكور . على ان المحكمة الروحية هي التي تعيّن البائنة بنسبة الضرر الحاصل وحالة الابنة بنوع ان تستطيع التزوج كما لو كانت بكرًا.

٦٢ — اذا افتضّ احد بكرًا متظاهرًا بوعده اياها بالزواج ، ولم يكن

للبكر المفوضة وسيلة كافية لتعرف نيته الحقيقية ، يلتزم المقتض ان يجهزها ببائنة .

٦٣ — كل من يغرّ بكرًا ، وهو غير قادر على الاقتران بها لانه متزوج او لان حالته لا تمكنه من التزوج ، يلتزم بان يجهزها ببائنة.

٦٤ — للبكر التي افتُضّت برضاها ان تطالب شريكها في الذنب بالضرر الذي سببه لها ، بنشر خبر الاقتضاض السرّي.

٦٥ — لا يُفرض شيء على من يرتكب الفحشاء مع ابنة ذات سلوك شرّير او صيت مفضوح ، ولا على الذي يذنب محمولًا على ذلك بالاكراه او التخويف او الخداع مع ابنة غير بكر ، ومعروفة لدى العموم بهذه الصفة . لكن للابنة المفضوضة المعروفة لدى الجمهور انها بكر ذات حقوق الابكار الحقيقيين .

٦٦ — واذا ولد للابنة ولد ، ولم يتزوجها الاب للاسباب السابق ذكرها ، يُترك الولد لامه على نفقة الاب طيلة مدة الرضاعة والحضانة . وللمحكمة الروحية ان تعين اجرة للام اذا رأت ذلك مناسباً . وفي انتهاء مدة الحضانة يسلّم الولد لابيه.

١١

في شرعية البنين

٦٧ — الابناء الشرعيون هم المحبول بهم ، او المولودون من زواج صحيح ، او موهوم اي الذي يعتبره صحيحاً ، عن حسن نية ، احد الزوجين في الاقل ، ما لم يكن الحبل قد تمّ في زمن كانت العلاقات الزوجية محظورة على الزوجين ، كما لو كان احدهما او كلاهما قد ابرزا النذور الرهبانية الاحتفالية بعد الزواج وقبل الحبل.

٦٨ — كل زوج شرعي يعتبر انه والد الولد المولود بعد الزواج ، ما لم يثبت العكس صريحاً.

٦٩ — ان الابناء الذين يولدون بعد الزواج بستة اشهر ، او في خلال

عشرة اشهر تلي فرقة الزوجين ، يُعتبرون شرعيين.

٧٠ – يصبح الولد شرعياً ان كانت المحكمة اقرّت شرعيته ، او اذا كان الوالدان عقدا زواجاً بعد ولادته بشرط ان يكون الوالدان اهلاً للزواج في زمن الحبل او الولادة .

٧١ – يخوّل الاولاد المجعولون شرعيين حقوق الاولاد الشرعيين ، ما لم يشترط خلاف ذلك.

١٢

التبني

٧٢ – التبني هو علاقة او نسبة تنشأ من اختيار شخص شخصاً آخر غريباً عنه ليجعله ابنه او وريثه مجّاناً.

٧٣ – شروط التبني ليكون شرعياً هي الآتية :

١ً : ان يكون الشخص المتبني حرًّا .

٢ً : ان يكون تجاوز الخامسة والعشرين من سنيه.

٣ً : ان يكون رجلاً .

٤ً : ان يكون في وقت التبني او قبله قادرًا على الايلاد.

٥ً : ان يفوق عمره عمر المتبنى بثماني عشرة سنة في الاقل .

٦ً : ان يكون حاضرًا عند التبني لان التبني خطًّا او وكالة لا يكون صحيحاً .

٧٤ – يبطل التبني بالغائه الصريح ، او بموت المتبني ، او باعتاق المتبنى.

٧٥ – ان القرابة الناشئة عن التبني ، ولو بطل ، متى تمت فيه الشروط التي سبق ذكرها ، تبطل الزواج في الخط المستقيم صعودًا ونزولاً حتى الدرجة الرابعة بين المتبني والمتبنى واقاربهما. اما اذا استمرّ التبني ، فهو يبطل الزواج ايضاً في الدرجة الاولى فقط من الخط المنحرف .

٧٦ – ان التبني يولد قرابة نسبية ايضاً تبطل الزواج في الدرجة الاولى من الخط المستقيم صعودًا ونزولاً .

١٣

في الوصي

٧٧ — متى مات الاب عن اولاد قاصرين لم يعين لهم وصيًا في مدة حياته، وهو في حالة شرعية، بصك موقع منه ومن شاهدين او بتصريح فاه به امام الرئيس المألوف او ممثله ووافق عليه كلاهما، فللرئيس المألوف عند عدم الجد لاب ان يعين للقاصر او للقاصرين وصيًا او اوصياء، بعد ان يكون قد تحقق فيهم الصفات المطلوبة. ويُختار هؤلاء الاوصياء بين الاقارب الادنين او خارجاً عنهم، شرط ان يشهد اهل القاصر وكاهن الرعية، واعيان المحل، انهم اكفاء لهذه المهمة.

٧٨ — يستلم الوصي الاموال الثابتة والمنقولة بموجب لائحة يوقعها هو وكاهن الرعية واثنان من اقارب القاصر في الاقل. ويؤخذ عن هذه اللائحة نسختان، يحفظ احداها الوصي، وتحفظ الاخرى عند الرئيس المألوف (اي مطران الابرشية).

٧٩ — تبطل الوصاية بعزل الوصي، او استقالته، او موته، او موت القاصر، او بلوغه الرشد اي ١٨ سنة، ما لم ترَ المحكمة الروحية وجوب اطالة مدة الوصاية الى اجل آخر لاسباب قانونية.

٨٠ — متى بلغ القاصر السنة الخامسة عشرة، وجب على الوصي ان يسلمه في خلال شهر امواله واوراقه بحضور ممثل الرئيس المألوف، بموجب اللائحة التي تسلمها من قبل وبموجب دفاتر حساباته.

٨١ — على الوصي ان يربي القاصر تربية مسيحية، ويدير امواله ويستثمرها بطرق امينة، ويرقم بدقة المداخيل والنفقات، في دفتر مخصوص، بنوع ان يكون مستعدًا دائمًا لان يؤدي حسابًا بناء على امر الرئيس المألوف.

٨٢ — ليس للوصي ان يبيع او يرهن اموال القاصر الثابتة او المنقولة الثمينة، او ان يستبدلها، او ان يعقد عقودًا باسم القاصر، او يستدين اي مبلغ كان ولو طفيفًا، دون ما سبب مشروع واجازة الرئيس المألوف الخطية.

وهذه الاجازة لا يستغنى عنها في اي بيع يجري تكون قيمته اكثر من عشرة آلاف غرش لبناني سوري.

٨٣ – لا يستطيع الوصي ان يقبل بوجه الصرف الحبي مبلغاً ادنى من الدين الذي للقاصر ، ولا ان يدفع عنه ديناً لم يثبت ثبوتاً كافياً دون ان يستشير الرئيس المألوف وينال اجازته.

٨٤ – للوصي ان يدافع عن حق القاصر ، ويرافع عن قضاياه امام المحاكم المدنية او الروحية بذاته او بواسطة محام كفء يختاره . لكنه يستمر مسئولاً عن اعمال ذلك المحامي الذي لا يمكن ان يتجاوز حقه حق الوصي ، والذي تبطل وكالته بموت القاصر او الوصي.

٨٥ – للرئيس المألوف، بالاستناد الى تقرير طبي ، ان يحجر على البالغ سن الرشد المجنون ، والمعتوه والمثبوت كونه غير اهل ، والمسرف ، وان يقيم عليه وصياً له الحقوق وعليه الواجبات التي لوصي القاصر . على ان بعض اعمال المحجور عليه لعدم اهليته او لاسرافه كعقد الزواج ، والوقف على اعمال البر ، تبقى ثابتة وجائزة بينما جميع اعمال المجنون والمعتوه باطلة ابداً.

وللرئيس المألوف ان يعطي الوصي عند الحاجة تعويضاً مناسباً لاتعابه ولحالة القاصر او المحجور عليه.

١٤

في الوصية

٨٦ – الوصية هي تمليك مضاف الى ما بعد الموت ، او بعبارة اخرى ، هو سند ملكية ينال مفعوله بعد موت الموصي بطريق الهبة . ويشترط لصحة الوصية ان يكون الموصي حرّاً ، راشداً ، ومتمتعاً بجميع قواه العقلية ، ومجرية الاختيار ، واهلاً للاعطاء.

٨٧ – ان وصية القاصر البالغ سن التمييز التي يعين فيها نفقات جنازته والمساعدات الروحية لنفسه هي صحيحة ونافذة . وتصح ايضاً وصية المحجور عليه لعدم اهليته واسرافه ، لاجل البر والصدقة. اما وصية المجنون فلغو وباطلة.

٨٨ – يجوز التصرف بثلث المال لمصلحة احد الوراث او غيره . ومن ليس له وريث فهو حرّ ان يتصرف بماله كما يريد . اما اذا كان عليه دين فيجب ايفاؤه اولاً .

٨٩ – اما في ما يختصّ بالموصى له والحصة الممكن التصرف بها فيرجع الى الشرائع المرعية في البلاد .

٩٠ – لا يسوغ ان تنفذ الوصية الممولة لمصلحة قاتل الموصي ، او لمصلحة شركائه ، سواء حدث القتل عمداً او صدفةً قبل الوصية او بعدها .

٩١ – لا يملك الموصى له الموصى به الا بعد ان يكون قد قبله صراحة او ضمناً . ولا يصح هذا القبول الا بعد موت الموصي . ولا تصح الوصية ان لم يوقعها الموصي امام شاهدين عدلين ، ويوافق عليها الرئيس المألوف او ممثله . واذا كان الموصي يجهل الكتابة فيوقع عنه شاهد ثالث .

١٥

التركة او الوارث

٩٢ – شروط الارث ثلاثة :

١ً : ثبوت موت المورّث موتاً طبيعياً او مدنياً .

٢ً : ثبوت وجود الوارث المادي او الادبي حين استحقاق الارث .

٣ً : معرفة سبب الارث .

٩٣ – واليك النظام الواجب اتباعه في توزيع الارث :

١ً : نفقات الجنازة من ساعة الموت حتى الدفن ، وتدخل ضمنها حسنات القداديس التي توزع لراحة نفس الميت بموجب العادات المحلية .

٢ً : دفع الديون من مجموع التركة .

٣ً : تنفيذ الوصية .

٤ً : توزيع الانصبة النسبي مما يفضل على الورّاث .

٩٤ – التوزيع يحصل بواسطة المحكمة الروحية بمقتضى الشرائع المتبعة في البلاد .

٩٥ - اذا وجد بين الورثة مستحق غائب يُجهل محل اقامته ، او قاصر ، او جنين ، عيّنت المحكمة نصيب كل منهم ، وحجزت عليه الى ان يولد الجنين ، ويعين وصيّ للقاصر وللغائب ، ويبقى نصيب الغائب محفوظاً الى ان يحضر او يثبت موته .

٩٦ — المحكوم عليه لقتله المورّث عمداً او لاشتراكه فيه والمسيحي الجاحد دينه ، يحرمان نصيبهما من الارث .

٩٧ — اذا تخلّف احد الورّاث عن استلام نصيبه ، تعين المحكمة الروحية وكيلاً لحفظ ذلك النصيب .

٩٨ — للمحكمة الروحية اعطاء شهادة الوفاة واستحقاق الارث .

٩٩ — للمحكمة الروحية حق بتقاضي رسم على توزيع التركة قدره اثنان في المائة .

١٦

الوقف

١٠٠ — الوقف يقوم بالتخلي عن مالٍ لعمل خيري ، بتخصيص ذلك المال له مؤبدًا ، ودون رجوع ، ارضاء لله تعالى .

١٠١ — العمل الخيري هو كل ما يختص بعبادة الله ومساعدة خدّمة المذبح وسائر اعمال الرحمة .

١٠٢ — يجب ان يحرّر الوقف في صك توضح فيه غايته جليًا ويوقفه الواقف بشهادة شاهدين عدلين . ويجب ان يوافق على صك الوقف الرئيس المألوف ، وان يسجل هذا الصك لدى المحكمة المدنية .

١٠٣ — شروط صحة الوقف ان يوقفه راشد ، حرّ ، متمتع بجميع قواه العقلية ، ومالك للمال الموقوف ، الغير المستغرق بالدين . المال الموقوف في المرض الاخير هو وصية لا وقف .

١٠٤ — للرئيس المألوف حق تعيين وكيل الوقف .

١٠٥ - لا يجوز بناء او تشييد كنائس او معابد او مذابح بدون اجازة

الرئيس المألوف.

١٠٦ — يستلم وكيل الوقف اموال الوقف الثابتة والمنقولة بموجب لائحة موقعة منه ، ومن ممثل الرئيس المألوف وشاهدين مختارين من اعيان المحلة ، ويحرّر عن هذه اللائحة نسختان تحفظ احداهما لدى وكيل الوقف ، والاخرى لدى الرئيس المألوف.

١٠٧ — على وكيل الوقف ان يمسك دفترًا يجدده كل سبع سنوات يرقم فيه واردات الوقف ونفقاته ، بنوع ان يكون مستعدًّا دائمًا لاداء الحساب عنها حينما يطلب منه ذلك الرئيس المألوف.

١٠٨ — على وكيل الوقف ان يدير شؤون الوقف ويستلم وارداته ويرمّم ما تخرّب منه ، ويسهر على الكنيسة والاواني المقدسة ويدافع عن حقوق الوقف امام المحاكم الروحية والمدنية بذاته او بواسطة وكيل يختاره على مسئوليته.

١٠٩ — ليس لوكيل الوقف ان يبيع املاك الوقف واملاكه المنقولة ذات القيمة او يرهنها ، دون ما مسوّغ شرعي واجازة الرئيس المألوف الخطية . ولا يمكنه استبدالها او اعطاء شيء منها حتى للفقراء ، او الاستدانة لحساب الوقف بدون اجازة الرئيس المألوف.

١١٠ — اما المسوغات الشرعية فهي وفاء دين ، واستبدال العين بما هو اوفر ريعاً وثمرةً.

١١١ لا يجوز تأجير ملك الوقف لاكثر من ثلاث سنوات . ولا يجوز تأجيره لمن تربطهم بالوكيل روابط القرابة اهلية كانت او دموية ، ولا للذين يجاور رزقهم رزق الوقف ، الا بعد ان تتخذ الحيطة اللازمة. وفي كل الاحوال يقتضي اجازة الرئيس المألوف.

١١٢ — لا يجوز لوكيل الوقف ان يشتري للوقف ما تفوق قيمته عشرة آلاف غرش لبناني سوري دون اجازة الرئيس المألوف.

١١٣ — كل عقد شراء يوقعه الوكيل بصفته هذه يكون للوقف ، ما لم يُذكر في الصك ويثبت الوكيل انه قد اشترى من ماله لنفسه.

١١٤ — تزول وكالة الوكيل بعزله او موته او استقالته . وعليه او على

ورثته ان يسلموا الرئيس المألوف اموال الوقف بموجب اللائحة والدفاتر والاوراق المحفوظة بيدهم واذا كان الوكلاء كثيرين، لا تزول وكالة الجميع بزوال وكالة احدهم.

١١٥ — يبطل الوقف ببطلان غايته، وبجحود الموقوف عليه دينه، وبهلاك عين الوقف.

١٧

المنعة الاكليريكية

١١٦ — المنعة الاكليريكية هي الاحترام الواجب للاشخاص المكرسين لله تعالى، وللاماكن المقدسة، وللمعاهد العمومية التي بيد الكنيسة.

١١٧ — الاحترام الواجب للكنائس وكراسي البطاركة والاساقفة والاديار والمقابر يتطلب ان لا يدخل اليها احد، دون اجازة الرئيس المألوف، للتفتيش عن مجرم او القبض عليه. وللسبب ذاته لا يحق لاحد ان يتدخل في شأن دفن ممنوع من قبل الكنيسة ومن اختصاص الرئيس المألوف ترتيب مسائل الدفن.

١١٨ — للبطاركة والاساقفة ملء الحرية في بناء الكنائس والاديار، والمقابر، والمعاهد العمومية الخاصة بالكنيسة، وفي ترميمها. وللخوارنة حق القيام بالاحتفالات الدينية في داخل الكنائس وخارجها.

١١٩ أ— تُعفى من الضرائب: الكنائس، والاديار، وكراسي البطاركة والاساقفة ومحل اقامة الخوارنة، والمدارس والمؤسسات الخيرية، والمدافن.

ويُعفى من المكوس الاواني المعدّة للكنائس (الشمع والخمر والاواني الكنسية وما شاكلها من لوازم الكنيسة)، وللبطريرك والاسقف (الثياب وحاجات المعيشة والاثاث)، وللاديار والمؤسسات الخيرية والطائفية.

جميع رجال الاكليرس العلماني والقانوني معفون من الضرائب الشخصية.

١٢٠ — يجب ان يستدعى رجال الاكليرس الممثول امام قضاة الاستنطاق وسائر المحاكم، بواسطة الرئيس الروحي. ويُحلفون امامه اليمين المطلوبة من المحاكم، واذا حُكم بوجوب توقيف احد رجال الاكليرس في قضايا جزائية، فيجري توقيفه في غرفة خاصة. ورجال الاكليرس المتهمون بجنحة او مخالفة

يجري توقيفهم في المطرانخانة او البطركخانة. واما المظنونون بجناية فيوقفون في محل مخصوص من السجن العمومي . وبعد الحكم النهائي يحط الاسقف الاكليريكي المحكوم عليه من درجته ثم يحبس في السجن العمومي .

وفي دعاوي الجنحة او المخالفة التي تقع بين اكليريكيين ، المحكمة المختصة بالنظر فيها هي المحكمة الروحية.

١٢١ — في ما عدا الجرم المشهود ، لا يمكن ايقاد الرؤساء الروحيين الا بعد تحقيق يُجرى لدى البطريرك في صحة الحوادث المنسوبة اليهم.

١٢٢ — يُعفى من الخدمة العسكرية الرؤساء الروحيون ، ورجال الاكليرس العلماني والقانوني ، والشمامسة ، والشدانقة ، والمرتاون ، والوافهون ، والطلبة الاكليريكيون ، والمبتدئون ، واساتذة المدارس الاكليريكية وديورة الابتداء.

* * *

هذا هو المشروع الذي قدمه البطاركة للجنرال ڤيغان ، قبل ان تستدعيه وزارة هريو وتستبدله بالجنرال سراي . فهو يتناول مسائل الاحوال الشخصية من جميع وجوهها. لكنه لم يقرّر شيئاً بخصوص تنازع الصلاحية الذي قد يقع بين المحاكم الروحية الكاثوليكية وسواها من المحاكم. ولذا فانا نلفت النظر الى ذلك ونذكر ان المرسوم الاشتراعي الذي اصدرته وزارة الاستاذ اميل اده قد قرّر مبدأ يصلح ان يجعل اساساً للفصل في تنازع الصلاحية، واليك هذا المبدأ:

المادة ٣٦ — ان قاضي الاحوال الشخصية المختص بالنظر في القضايا الزوجية هو قاضي السلطة الروحية التي عقد الزواج لديها.

المادة ٣٧ — اذا عقد الزواج امام سلطتين مختلفتين فمحكمة السلطة الروحية التي عقد امامها الزواج اولاً هي المحكمة ذات الصلاحية .

هذا ما رأينا نشره تنويراً للاذهان ، ولجميع الذين يهتمون بمسائل الاحوال الشخصية حتى يتوفقوا الى حلّ تُحفظ به حقوق الطوائف وحقوق السلطة المدنية معاً.

ولا شك ان الطريقة الفضلى هي الاتفاق مع السلطة الروحية على هذه الامور ، على ان يقرّر هذا الاتفاق بقانون يصدره مجلس النوّاب ، فيخوّله قوة شرعية كسائر شرائع الجمهورية . والله الهادي الى الصواب.

جولة في المجلات

المخطبة وما اليها في حمص وجوارها — تأثير الثقافة اليونانية في نثر صدر الاسلام — اهم المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق

المخطبة وما اليها في حمص وجوارها

قبل ان يزول الجيل الذي ربانا ، ويمضي عهد التقاليد والعادات اللطيفة التي كانت تجري في الناس ، عند عقد المخطبة وبركة العرس ، نشر حضرة الاب بطرس شامي على صفحات « المشرق » ١٩٣٠ ص٦٠٦ مقالاً في المخطبة وما اليها كما هي جارية في يومنا في بلاد حمص ، وكما كانت على الغالب في سائر البلاد السورية قبل انقلاب الاحوال عليها وانصراف الناس عنها الى الطرق المختصرة اسوة بالغربيين حتى في الافراح والاعراس . قال :

للخطبة مراحل عديدة لكل منها انظمة دقيقة لا بد للعروسين وذويهما من ان يجروا عليها ، وقد تؤدي مخالفة هذه الانظمة الى فسخ الخطبة ولو كان ذلك ليلة الاكليل . ولكل من هذه المراحل اسمها الخاص فهي : المشاورة والتأني والمباركة والعلامة والشوفة والنقش والحمام والجهاز ، اخيرًا الاكليل .

وبين هذه المراحل المختلفة ، ازمنة متفاوتة ، اكبرها ما يلي العلامة ، ويطول هذا الوقت اشهرًا وقد يزيد عن السنة حسب عسر العريس او يسره او غيابه عن وطنه .

فالمشاورة يُكلفها كاهن الرعية فيذهب ويستلم هل يرضى اهل الابنة بالشاب الفلاني عريسًا لابنتهم وما هو نقد الابنة . وبالتأني يتفاوض اهل العروس رسميًا مع اهل العريس ليأخذوا رضاهم . وبالمباركة يأتي الاقرباء والاصدقاء بعد علمهم بعقد المخطبة الى منزل المخطبين ، ولهم في ذلك اهازيج مستملحة ، يقف الشبان وينشدون :

قامة بطلبك بنون الله خدينا‌ها (اخذناها) بالموج والموج والدزّات (الطلقات) لرميحي
كم واس قطعنا كم جثة رمينا‌ها بالموج والموج والدزّات (الطلقات) لرميحي
يا رب سلّم على المطران والحوري يا دمعة العين فوق الخد منثوره

فتقابلهم النساء (بالمناهين) اي الزغاريد كهذه الزغرودة:

والحمد لله بنت الجيد مي حصلت بنت الامارة وشرفت مطرح آلي وصلت
والحمد لله وكلمتنا هي نفذت وبدار ابو العروس انفكت عقدة ألسرت
لو لو لو لو لو لو لو
غنا ان اخذنا مناخذ بنت هالجيدي بنت الامارة وبنت الست والسيدي
غنا ان اخذنا مناخذ مين يعاشرنا لمين بتحكي بتقول للمم يا سيدي

وعندما يدخل الجمهور يقابلنه بهذه «المهنونة»:

اهلا بكم اهلا بكم اهلا بدرب الجايكم
وان كان العريس جلابكم يضرب بحد السيف قدامكم

وتدور عندئذٍ كؤوس المشروبات ويهنئون قائلين: «الله يجعلها مباركة يتهنو. عقباً للتمام». وفي الغالب يواصلون السهرة فيما بين الدق والرقص والاهازيج والزراغيد.

ويسمون «علامة» تقديم الهدية للعروس مع النقد وتليها الخاتم علامة على رضاها. فيتوافد المدعوون ويشربون الماء والسكر وتقابل النساء الواقفات مقابل مدخل البيت جنهونة ملائمة للحالة، وللشبان حاملي الهدايا في موكب المدعوين:

عالهادي عالهادي يا حمام الوادي
سيروا سيركم الله على قلوب الاعادي
شباب هالعريس يا ميه وميتين ياما سكرتوا عازمر الباقيين
ياما انبسطوا واجا السعد يخدمكم اخدتو السلامات وطلعتو بالمناهين

غيرها للكهنة:

ابونا الخوري يا منيح ارفع صليبك واستريح
ارفع صليبك وبارك وقول شابوش (فليحيَ) يا دين المسيح

وهكذا الى ان يصلوا الى دار العروس حيث النساء مجتمعات ايضاً فيستقبلنهم بالمناهين:

اهلا وسهلا يلي المسك ريحتكم اهلا وسهلا ونهنى بمجيتكم
والناس بشغالها واتو جمتكم ونم فرحنا بريس كهنتكم
اهلا وسهلا وحيا الله بلقاكم كانت ساعه مباركة لمين عرفناكم
لا تحسبوا طالت الغيبة نسيناكم كلا نسم الهوا اعرفوا السلام جاكم

والشوفة هي زيارة رسمية للعروس من قبل اهل العريس، والنقش يُعين ميعاد الاكليل. فيحملُ للعروس مبلغٌ من المال ولهذه الاونة مناهين خاصة:

لا تحسبونا لحط الفرش ذلينا لنّا (لسنا) مذله ولا منتاز للناس

نحنا اخذنا عرايس قاطف (قطف) الاس على شباب ألنا تتخسر الناس
نحنا الفرح عندنا ولنا الفرح لحين الله جبر قلبنا من بعد حين وحين
سالت رب السما ويتم فرحتنا بالله عليكم حاضرين قولوا معي امين
سروري سروري وانا انسريت هاليزمي لادري من الله ولادري شفت بنومي
سروري سروري على فتحت يدي ألنا والحمد لله ولمثنا لها اليوم
يا ليلة السبت وياليلة الاحد وألي ما يتفرح معي بفرح انا وحدي
وحياة عينك وبقيم فرحتك وحدي وبسقي شباب العريس سكر وماوردي

وقبيل العرس يذهبون بالعروس الى احد الحمامات ، وليلة الاكليل يُنقل الجهاز .

تأثير الثقافة اليونانية في نثر صدر الاسلام

القى الدكتور طه حسين محاضرة عامة جال فيها حول « النثر العربي في القرنين الثاني والثالث للهجرة » . وقد لخصتها مجلة « المقتطف » فاذا فيها كثير من الآراء الجديرة بالنظر ، وان كان بعضها يخالف المتعارف عند الادباء . من ذلك مسألة الثقافة اليونانية وتأثيرها في النثر العربي ، والدكتور يميل الى القول بهذا التأثير والى القول بانه فاق تأثير الثقافة الفارسية . قال بعد ان ذكر العنصرين الفارسي واليوناني :

واي هذين العنصرين كان اقوى تأثيراً في النثر العربي ، الفرس ام اليونان . ان اكثر المستشرقين يميلون الى ان تأثير الفرس اقوى بدليل ان اكثر الذين كتبوا نثراً في الاسلام (في العصر الاموي والعباسي) كانوا من الموالي وهؤلاء من الفرس وها هو «ابن المقفع» الفارسي زعيم الكتّاب ... ولكن هنالك قوم آخرون — وانا منهم — يرون ان التأثير اليوناني كان اقوى رغم ان كثرة الكتّاب من الفارسيين ، وذلك لان الثقافة اليونانية كانت قديمة العهد في هذه البلاد منذ ايام الاسكندر اي القرن الثالث قبل الميلاد . ولم ينته القرن الثاني قبل الميلاد حتى كانت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية للشرق الادنى ، ولم يكد يتقدم التاريخ المسيحي حتى كانت كل بلاد الشرق الادنى في مصر وسورية والعراق وقد انبثت فيها مدارس يونانية تعلم الفلسفة والادب وعلوم اليونان .

وعندما جاء الاسلام وخرج العرب فاتحين صادفوا تلك البلاد وقد انبثت فيها هذه المدارس اليونانية فتركت في عقول المصريين والشاميين والعراقيين ... آثاراً لا يمكن ان تمحى الا مع الزمن ... هذه الثقافة اليونانية التي استمرت

في الشرق قسمة قرون لم يقف امرها على الشام والجزيرة والعراق ومصر بل هجمت على البلاد الفارسية نفسها منذ عهد البطالسة في مصر والسلوقيين في آسية .

واخذت الثقافة اليونانية تنبث في الفرس حتى وصلت الى اقصى الشرق . وفي عهد الامبراطورية الرومانية اشتدت الصلة بين اليونان والفرس وتعمقت الثقافة اليونانية في فارس . وفي اواخر هذا العصر عند ما ظهرت المسيحية واصبحت الديانة الرسمية واغلقت المعابد الوثنية ، هاجرت الثقافة اليونانية الى بلاد الفرس فوجدت منها حماية ونصيراً ولقيت من الاكاسرة تعضيداً ... فتأثر العقل الفارسي بها الى حدّ ان ابن المقفع ، زعيم كتاب العرب والفرس ، كان عظيم الحظ من الثقافة اليونانية حتى قيل انه ترجم آثار اليونان . ونحن نعلم ان لليونان ادباً كان يدرس في الاسكندرية وغزة والرها وانطاكية ، قبل ان تستقر الثقافة اليونانية بفارس . والثقافة الفارسية محدودة ، فان كان للفرس ادب فالواقع ان هذا الادب هو في عصر اتصال العرب بالفرس لم يكن عظيماً ، والذي ترجم الى الآداب العربية من الفارسية قليل مع كثرة ما ترجم من الآداب اليونانية . وتنحصر الآداب الفارسية في كتاب كليلة ودمنة وكتاب الادب الكبير وكتاب الادب الصغير ، والحكم التي يشتمل عليها شعر بعض الشعراء كأبي العتاهية ، وبعض الكتب السياسية . هذا هو كل ما يمكن ان يقال انه ادب فارسي وصل الى العرب في القرنين الثالث والثاني بينما وصل الى العرب من اليونان الفلسفة ونظم مختلفة في التفكير لها أثرها في النحو والبيان وغيرهما من الفنون .

والواقع ان الفرس اخذوا من العرب اكثر مما اعطوهم . وحسبنا ان نعلم ان الادب الفارسي الحي انما نشأ بعد ان اتصل الفرس بالعرب وبعد ان تعلموا العربية ، ولم يعط الفرس للنثر العربي في التأثير بمقدار ما يتصوره المستشرقون ، وما كان يراه الشعوبية من الفرس الذين قالوا ان العرب مدينة للفرس بكل شيء . ولا شك ان العرب مدينون للفرس بالكثير من الماديات والنظم السياسية وغيرها واما في الادب فانا مقتصد جداً وفي رأيي ان العرب تدين في ادبها الى الامة اليونانية .

هذا الى ان اكثر الكتاب الذين بدأوا يكتبون النثر لم يكونوا من الفرس بل كانوا من الشام والجزيرة ومصر فهم اما يونان او ساميون ثقافتهم يونانية .

اهم المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق

REVUE DES ETUDES ISLAMIQUES, 1930, *cahier I*, مجلة الدروس الاسلامية

I.. V. F. Minorski, *Livres scolaires en Kurde*, p. 157-160.

كتب مدرسية باللغة الكردية

لا يخفى ان جمعية الامم ، لما الحقت ولاية الموصل بالعراق في ١٦ كانون الاول ١٩٢٥ ، اشترطت ان موظفي الاكراد انفسهم يقومون بادارة بلادهم ، ويستلمون القضاء فيها ، ويهتمون بالتعليم في المدارس ، وان اللغة الكردية تصبح اللغة الرسمية في جميع الدوائر . على ان هذه اللغة الكردية الشجية النبرات ، القوية الوقع ، التي قد تلذ اللغويين ، لا قواعد فيها للاملاء ، ولا الفاظ وضعية ، بل لا وحدة في لهجاتها المختلفة . ولكن على رغم هذه الصعوبات ظهر فيها عدة كتب مدرسية مطبوعة في بغداد مع ان مركز الاكراد المهم في السليمانية . وان المؤلف ، في هذا المقال ، يصف ثمانية من هذه الكتب ، فيرى ان مؤلفيها اسرعوا في اخراجها ، فوقعوا في اغلاط كثيرة . وهو يتمنى ان يُستعمل فيها ابجدية سهلة يتفق عليها الجميع ، وان ينتبه لادب العامة قبل اقرار القواعد ، وان يُبدأ اولاً بتأليف قاموس شامل ، وان يكون مؤلفو الاكراد الذين يهتمون بهذه الدروس ، قد تعوّدوا نوعاً ما طرق الابحاث الاوربية .

ANGELICUM, *Roma, VIII^e année*, 1931, *fasc. I.*

S. Salaville A. A., *S^t Augustin et l'Orient.*

القديس اغوسطينوس والشرق

كاتب هذا المقال من الرهبان الصعوديين ، وغايته بيان ان القديس اغوسطينوس كان صديق الشرق ، ليس بمعرفته اللغة اليونانية التي كانت قاصرة لعدم تعوّده التعبير فيها ، بل لانه كان يعتبر كل الاعتبار الآباء اليونان ويستقي من تآليفهم . هذا وان الشرق كان يبادله الاعتبار نفسه ، ويمدّه من ارباب

السلطة العالمية في الشؤون الدينية ، وقد ترجم الى اليونانية عددًا من كتبه . ومن المعلوم ان القديس دُعي الى حضور مجمع أفسس ، وهو ثالث مجمع مسكوني ، ولكنه لم يحضره لان الدعوة وصلت بعد وفاته . ولم يتأخر الشرق الا في نقطة واحدة ، وهي انه ، حتى الآن لم يُفصح مجالًا في طقوسه ، لعيد القديس اغوسطينوس . ويذكر المؤلف انه في السنة ١٩٠٧ ، بمناسبة الاحتفال بالمئوية الخامسة عشرة للقديس يوحنا فم الذهب ، اقترح الاب كررولشكي بالاحتفال باعياد القديسين اغوسطينوس ، وايرونيموس ، وتوما الاكويني . وان عيد القديس اغوسطينوس ، الذي هو معلّم الكنيسة الشرقية والغربية ، يكون اذا ما احتُفل به في الشرق ، دليلًا جديدًا على اتحاد الكنيستين المذكورتين .

M. A. Van den Oudenrijn, O. P., *Mechitar schasteus thomista orientalis.*

مخيتار السيواسي ولاهوت القديس توما

من المشهور ان مخيتار السيواسي أسس رهبانيتين عُرفتا باسمه . على ان ما ليس مشهورًا هو ان مخيتار المذكور كان من مريدي آراء القديس توما الاكويني في اللاهوت ، وآراء البرتوس الكبير . وكان قد شرع بنقل « الخلاصة اللاهوتية » الى اللغة الارمنية . جال الكاتب في الموضوع فوفاه حقه من التدقيق والنقد وختم بالقول ان رهبان مخيتار اقتدوا برؤسهم في هذا الامر ، فظهر منهم كثير من اللاهوتيين والفلاسفة على طريقة القديس توما .

المجلة الجغرافية THE GEOGRAPHICAL JOURNAL, 1931, *february*

Eldon Rutter, *The Hejaz.*

الحجاز

يعلم قراؤنا الكرام ان المؤلف نشر مجلدين في بلاد العرب ولاسيما الحرمين وضع فيهما ثمرة رحلته الى تلك البلاد . وقد دخل اليها من ينبع ، فانتقل الى المدينة ، فالى مكة ، فالطائف ، فساحل البحر نحو الجنوب . اما مقاله هذا فيحتوي الكثير من المعلومات الجغرافية والبشرية التي جمعها في رحلته . فيظهر منها ومما يتبعها من المناقشات ان تلك البلاد لا تزال مجهولة من اكثر الاوربيين .

شذرات

الرسالات الكاثوليكية في العالم

في العالم اليوم ٤٥٣ منطقة كنسية تديرها الرسالات الكاثوليكية . وقد كان عدد هذه المناطق ٢٢٨ سنة ١٩٢٢ ، و ٤٠٢ سنة ١٩٢٧ . فيتضح من هذا الازدياد المطرد الجهود التي بذلها المرسلون في السنوات الاخيرة على اثر تنشيطات الحبر الاعظم . وفي ما يلي بعض المعلومات التفصيلية مأخوذة من بحث مستفيض السيد بوشر ، رئيس جمعية انتشار الايمان المقدس في باريس :

عدد الكهنة في هذه المناطق المختلفة ١٢,٩٥٩ بينهم اكثر من ٤,٣٠٠ كاهن وطني ، والاخوة ٥,١١٢ بينهم اكثر من ١,٣٠٠ اخ وطني ، والراهبات ٢٨,٠٩٩ بينهنّ نحو ١١,٤٠٠ راهبة وطنية . ومن هؤلاء جميعاً يتألف جيش ضخم عدد افراده ٤٦,١٧٠.

وبين الكهنة المرسلين من مختلف الجنسيات الغربية البالغ عددهم ٨,٣٥٩ كاهناً ما يزيد على ثلثهم اي نحو ٣ آلاف كاهن من الامة الافرنسية.

والى هذا الجيش المصطفى ينضم في تلك المناطق جيش آخر مساعد يتألف من ٥١,٦٠٦ مدرسين للتعليم المسيحي ، ومن ٣٨,٦٧٩ استاذ مدرسة ، ومن ٢٥,٦٧٩ معلماً للدوعوظين اي المؤهبين لقبول سر العماد المقدس.

وللمرسلين ٢٠٦ مدارس اكليريكية خاصة بتثقيف المرشحين للدخول في سلكهم تحتوي على زهاء ٧,٤٧٦ طالباً ، و ١٠٣ مدارس اكليريكية كبرى لتثقيف المرشحين لدرجة الكهنوت المقدسة من البلدان التي يقيمون فيها تحتوي على زهاء ٢,٥٢٧ طالباً ، و ٥٨٣ مدرسة لتثقيف المرشحين لتدريس المبادئ الدينية او التعليم المسيحي فيها نحو ٨,٠٣٢ طالباً ، و ٣١,٤١٨ مدرسة ابتدائية فيها نحو من ١,٥٢١,٧١٠ تلاميذ ، و ٥ كليات اثنتان منها في الصين واثنتان في الهند وواحدة في اليابان وعدد الذين يختلفون اليها لا يقل عن ١,١٠٠ تلميذ.

وتقوم الى جانب المعاهد العلمية معاهد الاحسان والرحمة . ففي سنة ١٩٢٧

تبيّن من اللوائح الاحصائية ان لدى المرسلين ٦٩٢ مستشفى دخل اليها ٢٨٣,٥٠٣ مرضى ، و ١,٨٥٧ مستوصفاً عاينت ١١,٠٦٦,٧٤٠ مريضاً ، و ١,٥٢٧ ميتماً فيها ٨١,٢٤٠ يتيماً ، و ٩٩٠ مأوى للعجز ضمت ١١,٣٤١ عاجزاً وعاجزة ، و ٨١ مستشفى للبرص أوت ١٤,٠٦٠ مجذوماً .

ولديهم في مختلف المعاهد الصحية ٢١٦ طبيباً تعاونهم ٨٥٥ ممرضة من حاملات الشهادات الرسمية .

فهذا شيء من اعمال الكنيسة الكاثوليكية في العالم بواسطة جنودها المرسلين ...

الازمة العالمية والحكمة البشرية

« لا تزال الحكمة البشرية قاصرة من بعض جهاتها » . هذا ما قاله الخطيب الشهير بوصويه ، وهو ما نرى تحقيقه في الازمة الشديدة الآخذة بخناق العالم عامةً ، والولايات المتحدة خاصةً في هذه الايام . ذكرنا الولايات المتحدة ، لانها شاءت ، منذ خمس سنوات ، ان تصرف عنها هذه الازمة ، فاتخذت احتياطات عديدة كان من شأنها ان تزيد العقدة تمكيناً ، بدل ان تحلها . وذلك انها شعرت سنة ١٩٢٦ باضطراب في زراعتها وصناعتها ، ناتج عن كثرة المحصولات فيها ، وعن قلة الطلب في اسواقها الداخلية وفي الاسواق الاوربية التي كانت لا تزال متأثرة بتفاعيل الحرب الكبرى .

فما كان من الولايات المتحدة الا انها حدّدت عدد المهاجرين ، فمنعت بذلك ازدياد المشترين في بلادها . ثم انصرفت في صناعتها عن الدقة والاتقان في العمل الى الاكثار من المحصولات ، فضجّت بالفن في سبيل السرعة ، فقلّت رغبة القواة في مصنوعاتها . ثم أسست نظاماً شديداً يحميها من المحصولات الاجنبية ، فكانت النتيجة ان محصولاتها ارتفعت اسعارها ارتفاعاً حال بينها وبين الرواج فبقيت في مكانها . وهكذا فان حكمتها البشرية كانت قاصرة من اكثر جهاتها .

مجمع يعقوبي

انعقد في دير مار متى بالموصل ، من ١١ الى ٢٥ تشرين الاول الفائت ، مجمع ترأسه بطريرك اليعاقبة وحضره ثلاثة فقط من اساقفة اليعاقبة ، وهم خمسة عشر ؛ اما الباقون فقد اعتذر بعضهم ، ولم يكترث البعض الآخر لهذا المظهر من الحياة الدينية فلم يروا ضرورة لازعاج انفسهم بالانتقال . وهذه بعض قرارات المجمع الذي هو اول مجمع يعقده اليعاقبة منذ ثلاثمائة سنة .

«القرار ٧ — اجاز المجمع المقدس استعمال الارغن في اثناء القداس ولاسيما في ايام الاحاد والاعياد الرسمية .

«القرار ٨ — اجاز المجمع المقدّس اشتراك الفتيات في الترتيل في الكنيسة وهن واقفات خارج المذبح ، وقرر ان يوصي مطران كل ابرشية ببذل الجهود لانشاء مدارس للاناث .

«القرار ١٠ — قرر المجمع المقدّس ان تكون مراسلة افراد الاكليروس السرياني فيما بينهم باللغة السريانية او بحروفها حرصاً على قدسية هذا التراث الثمين .

«القرار ٢١ — قرر المجمع المقدس لدى تداوله في مسألة الحساب الكنسي ابقاء الحساب الشرقي على وضعه الراهن في كل البلاد الشرقية . وانما سمح للكنائس السريانية في الاميركتين بناء على الضرورة الملحة اتباع الحساب المحلي في بعض الاعياد المعيّنة ، على ان يبقى عيد الفصح تابعاً للحساب الشرقي حيث ان المجمع النيقاوي قد نصّ بذلك صريحاً . وتقرّر ان يذاع هذا التفسير على الكنائس المذكورة بمنشور بطريركي .

«القرار ٣٠ (وهو الاخير) — بما ان المجمع المقدّس اعطى المجالس حقّ وضع الرواتب لافراد الاكليروس على اختلاف درجاتهم لقاء الخدم الدينية متى يؤدّونها فهو يجنّد جدًّا هذا النظام ويوصي جميع المجالس بنوع خاصّ ان تسعى الى تطبيقه .»

مطبوعات شرقية جديدة

Axel Moberg : Ueber einige christliche Legenden in der islamischen Tradition. 8°, 38 *pp. Lund, Hakans Buchdruckerei*, 1930.

بعض الاساطير النصرانية في الحديث الاسلامي

يبحث مؤلف هذه الرسالة في اصول الاحاديث الموجودة في سيرة الرسول لابن اسحق وابن هشام والطبري وغيرهم ، في ما خصّ ارتداد مدينة نجران الى التوحيد . ويكتشف المؤلف اصل ذلك في احاديث نصرانية سريانية وحبشية . ثم يبين الصلة بين نوعي الاحاديث ، ويحدّد المعنى الحقيقي للفظة « اصحاب الاخدود » الواردة في القرآن (٨٥ : ٤) ه. ل.

Litterae Orientales - Orientalistischer Literatur Bericht. *Heft* 45, *janvier* 1931.

مجلة الآداب الشرقية — كانون الثاني ١٩٣١

نشير في هذا الجزء ، الى بحث لكرفل (Kirfel) في التقليد وانتقاد النصوص اللغوية في اللغة الهندية . ثم كلمة تذكارية في هنري غلوك (Gluck) مع سرد اسماء تآليفه . ثم اشارة الى الكتب الجديدة الخاصة بالشرق الاقصى .

E. Pittard : Le visage nouveau de la Turquie. *in*-8°, 313 *pp.* 24 *photographies: Paris, Société d'éditions géographiques, maritimes et coloniales.* 1931.

وجه تركية الجديد

مؤلف هذا الكتاب من الاختصاصيين بدرس السلالات البشرية ، وقد زار آسية الصغرى من اقصاها الى اقصاها ولم يتمالك من ان يميل الى شعوبها التي تتطور اليوم تطوراً سريعاً غريباً . فجاء بحثه شاملاً مفيداً عن تلك الشعوب التي لا يمكن لاوربة ان تُعرض عن الاهتمام بمستقبلها . ولا يسهو المؤلف عن تحديد جميع المزايا الفارقة لكل شعب منهم فيهتمّ بالاتراك ، والارمن ، والاكراد ، والتتار . والكتاب مزيّن بـ ٢٤ صورة واضحة . ج.ل.

Rollin (Henry) : La révolution russe. Ses origines, ses résultats. I, Les Soviets. II, Le parti bolcheviste. 2 *v. in*-12, 1931. *Paris, Librairie Delagrave.*

الثورة الروسية

طالما ساد الاعتقاد بان حالة روسية الخارقة لا تدوم الا سنوات قليلة ، ولهذا تسابق المؤلفون في وصف مظاهر الثورة وما جرّته من البلايا والفظائع . اما الآن ، وقد مرّ عشر سنوات على تلك الحالة ، فلزم المؤلفين ان يدرسوا بدقة وامعان اسباب تلك الظاهرة ونواحي تطورها . وهو ما يجتهد فيه مؤلف الكتاب ، وهو من ضباط البحرية سابقاً ، فيخص بذلك ثلاثة مجلدات ظهر الاولان منها في « الوقيت » ، و « الحزب البولشفيكي » . وفيهما دروس دقيقة شخصية بدت الاولى من نوعها في القاء نظرة جامعة شاملة على تلك الحركة . وسيخصص المجلد الثالث بسيطرة ستالين. ج.ل.

Solomon (George).: Parmi les maitres rouges. *in*-12, 351 *pp. Paris, Editions Spes*, 1930, *Prix* : 18 *f*.

بين الارباب الحمر

اختار المركز الدولي لمحاربة الشيوعية هذا الكتاب مع كتاب جوزف دوييه (Douillet) في « موسكو السافرة » لنشر الدعاية ضد الشيوعيين. وهو مجموعة مذكرات كتبها رئيس حزب شيوعي بعد ان انفصل عن حزبه سنة ١٩٢٣ ، اذ كان في لوندرة. وقد كان قبل ذلك سكرتير السفارة في برلين ، ثم قنصلاً في هامبورغ ، ثم ملحقاً في موسكو بتندوب الشعب في ما خصّ التجارة الخارجية ، ثم ممثله الرسمي في ريفال ، فتمكن من معرفة امور كثيرة ومراقبة حوادث عديدة جمها في كتابه هذا . على ان المطالع يودّ لو اطلع على ضمانات كافية في ما خصّ صحة هذه الوثائق ، ودقة ترجمتها . وكلها امور مهمة في كتاب علمي غايته تأييد بعض المزاعم ، وطريقه اليها سرد محاورات ومحادثات يميل الانسان الى ان يقرأها كما يقرأ المشاهد الروائية. ج.ل.

Dr Josef Schmid : Matthäus und Lucas. [*Biblische Studien, XXIII Band 2/4 Heft.*] *gr. in-8°, XVI-384 pp. Herder, Freiburg im Breisgau, 1930. Prix : 16 M.*

متى ولوقا

عرف قرائنا الدكتور شميد بكتابه في « رسالة القديس بولس الى اهل أفسس » الذي وصفه المشرق سابقاً (٢٦[١٩٢٨] ٧١٠) . وها هو ينشر اليوم كتاباً جديداً خصه بذكر الصلات بين انجيل القديس متى وانجيل القديس لوقا. وبالسؤال هل استقى الثاني شيئاً من الاول ؟ وبعد ان درس الموضوع درساً امينا استنتج ان لوقا لم يستق شيئاً من متى، ولكنه يرجح وجود مصدر واحد استقى منه الاثنان ما هو مشترك بينهما وغير وارد في انجيل مرقس . وان هذا الدرس العلمي الدقيق ، الذي قام به عالم كاثوليكي ، يلقي نوراً جديداً على مسألة الاناجيل الثلاثة . ونحن نؤمل ان يقربنا من حلّ نهائي لتلك المسألة .

ب. م.

Franciscus Zorell s. j. : Lexicon graecum Novi Testamenti. [*Cursus Scripturae Sacrae*] *Editio altera novis curis retractata. in-8° raisin XXIV pp. et 1498 colonnes. Paris, Lethielleux, 1931. Prix : 150 f.*

معجم يوناني للعهد الجديد

هي طبعة جديدة لمعجم الاب زورل المشهور ، وقد راجعه المؤلف وزاد فيه نحو مائة صفحة ، فزادت فائدته لجميع شرّاح الكتاب المقدس ، وهم يجدون فيه ، فضلاً عن اسماء الكتب الجديدة في الموضوع ، هوية جميع الكلمات اليونانية ، ومعانيها ، واستعمالها في الترجمة السبعينية وفي اوراق البردي المعاصرة الخ... وقد خصت بعض المفردات بشروح مطوّلة ، لكثرة استعمالها في الابحاث اللاهوتية ، وكذلك بعض التعابير الصعبة الفهم . ووددنا لو ان الكاتب اشار ، في جميع المواد ، الى استعمالها في الترجمة السبعينية مع ذكر الكلمة العبرانية التي تترجمها.

ب. م.

Louis Dimier : La gravure. *in*-12, *illustré*, 222 *pp. Paris, Garnier Frères*, 1930. *Prix* : 25 *f*.

حفر الصور

هذا الكتاب حلقة جديدة من سلسلة جديدة عنوانها « مجموعة غارنيه الفنية » وغايتها امـا القاء نظرة شاملة على مظهر من مظاهر الفنّ ، او وصف الفنّ الخاص ببلد من البلاد . اما المجلد الحالي فيخصه مؤلفـه ، وهو من الفنيين الاختصاصيين ، بتاريخ فنّ حفر الصور والرسوم في الخشب . فيذكر اصولـه وعصره الاول ثم يدرس مظاهره المختلفة في بلاد الفلاندر ، وفرنسة ، وهولاندة ، وانكلترة ، واليابان . والكتاب مزيّن برسوم جميلة متقنة ج.ل.

Emile Bayard : Les styles coloniaux de la France. *in*-16, 336 *pp.*, 203 *illustrations. Paris, Garnier Frères*, 1931. *Prix* : 25 *f*.

الازياء والطرازات في المستعمرات الفرنسوية

يشتهر مؤلف الكتاب ببحث في معرفة فن الطرازات الهندسية ، فاراد ان يلحقه بهذا المجلد عن الطرازات المعروفة في المستعمرات الفرنساوية . وهو كتاب يأتي في حينه ، وفرنسة على وشك اقامة « معرض المستعمرات وبلاد ما وراء البحار » ، فيستفيد منه جميع زائري ذاك المعرض .

Rousseau (François) : L'idée missionnaire aux XVI^e^ et XVII^e^ siècles. Les doctrines, les méthodes, les conceptions d'organisation. [*Bibliothèque des missions. Mémoires et documents. vol. II.*] *gr. in*-8°, 142 *pp. Paris, Editions Spes*, 1930. *Prix* : 18 *f*.

فكرة الارسالية الدينية في القرنين السادس عشر والسابع عشر

درس مفيد بيّن فيه المؤلف تأثير الاكتشافات الجغرافيـة في اواخر القرن الخامس عشر على لاهوتي الكاثوليك . وما جرّه ذلك التأثـير من التفكير بالارساليات او البعثات الدينية الى العالم الجديد ، وبلاد الشرق ادناها واقصاها . ولم يلبث التفكير ان عقب بالعمل فتأسست جمعية نشر الايمان سنة ١٦٢٢ بهمة البابا غريغوريوس الخامس عشر . يدرس المؤلف كل هذا بالوضوح الذي اشتهر به في مؤلفاته التاريخية السابقة ، وخصوصاً في مجلديـه الكبيرين عن شارل الثالث ملك اسبانية . ج. ل.

Anna Heyberger : Jean Amos Comenius (Komensky). Sa vie et son œuvre d'éducateur. [*Travaux publiés par l'Institut d'études slaves, t. VII.*] *in*-8°, 280 *pp. Paris, H. Champion*, 1928.

جان كومنسكي : حياته واثره التهذيبي

كومنيوس اسم لاتيني او مُلَقَّن لكومنسكي التشيكي المولود في اواخر القرن السادس عشر من أسرة بروتستانية تمتّ بالصلة الى الجامعة المعروفة باسم « الاخوة المراثيين » . بعد ان تلقى كومنيوس دروسه شاء ان يُصلح التهذيب في وطنه . ثم جال في البلاد البروتستانية كانكلترة وهولندة واسوج فاتسعت غايته وكتب ما كتبه رغبة في افادة العالم كله ، لا وطنه فحسب . اما الكتاب الحالي في درس حياته وآثاره وطرقه التهذيبية فغاية في الاتقان والدقة . ولا يمكن قدر قيمة هذه الطرق التهذيبية الا عن سبيل المقابلة اذا ما عرضناها على ما كان في عصر الرجل من اساليب في ذلك . هذا والكتاب ينتهي بجداول واسعة مفيدة ج. ل.

Les grands problèmes internationaux de l'heure présente. *Conférences de la première semaine catholique internationale de Genève*, 16-22 *septembre* 1929. *in*-12°, 250 *pp. Paris, Editions Spes. Prix* : 15 *f*.

امّ المشاكل الدولية في الساعة الحاضرة

في سنة ١٩٢٩ ، القي في جنيف ابان الدورة العاشرة لجمعية الامم ، سبع محاضرات ، ألفت ما دُعي « بالاسبوع الكاثوليكي الدولي » . ثم نُشرت في هذا المجلد وهو اول منشورات « الاتحاد الكاثوليكي للابحاث الدولية » الذي مركزه فريبورغ من اعمال سويسرة وقد بدئ الكتاب بلمحة في تلك الجمعية ونشأتها ، واعمالها ، وغايتها . ثم سُردت المحاضرات وكلها تخوض في الشؤون العالمية الكاثوليكية المهمة ، كالعقيدة الكاثوليكية في الزواج والعائلة ؛ وطرق التهذيب ؛ والوطنية ؛ ومعضلات العمل ؛ والمدنية ؛ والنظام الدُولي ؛ ومعنى الحياة .

تاريخ اللغات السامية

تأليف الدكتور اسرائيل ولفنسون (ابو ذؤيب)

مطبعة الاعتماد بشارع حسن الاكبر بمصر ١٣٤٨-١٩٢٩ ، ص ٢٩٥ متوسطة

لا يخفى ما في درس اللغات السامية من الفائدة لطلاب العربية . وقد شاء المؤلف ، بكتابه الجديد ، ان يعمل على نشر هذه الفائدة . وهو معروف من قراء المشرق (٢٦ [١٩٢٨] : ص ٧٩٢) بكتابه تاريخ اليهود في بلاد العرب ، وله الالمام بتاريخ اللغات الشرقية والاستمداد على خوض غمارها ، فتسلح بما كتبه المستشرقون عليها وعلى الخصوص نولدكه وبروكلمان واقبل على وضع كتابه عن جرأة كللها الظفر . وسيتلو هذا الكتاب ، ولا شك ، غيره من المؤلفات من بعده فتستفيد منه وتزيد عليه ، اما فضل الاسبقية فان يزاحمه عليه مزاحم . تشمل فصوله الابحاث في اللغات السامية على العموم ثم في التفصيل من بابلية اشورية فكنعانية فعبرية فآرامية فعربية فحبشية ، وهي مزينة بالتصاوير والنقوش المساعدة على فهم القواعد . اما لغة الكتاب فعلى وضاحتها لا تزال تشف عن الاصل الذي نقلت منه اكثر المواد ، وهو مختصر تاريخ اللغات السامية لنولدكه . عني المؤلف عناية خاصة بالبحث في نشأة اللغة العربية ، وذهب مذهب طه حسين في الشك بصحة نسبة الشعر الجاهلي ، ووددنا لو بيّن براهينه على ذلك بشواهد افصح مما ذكره موجزاً مختصراً في هذا المعنى . قال (ص ١٥٩) « قرية اسمها ملولة » ، والصواب معلولا ، وقال (ص ١٤٥) « ادوسا » والصواب الرها . ووقعت في الكتاب غلطات مطبعية بسقوط النقط من الحروف كالحجار عوض الحجاز . على اننا نقدر مجهودات المؤلف ، وقد وصف كتابه العلامة بروكلمان في مجلة الاداب الشرقية الالمانية فاشار الى مواضع الخلل فيه ، لكنه قال فيه على الاجمال انه اتى بنظرات قيمة على احوال الشعوب السامية وتمدينها (*OLZ, 1930, 1013*)

ف . ت .

اللغات الآرامية وآدابها

تأليف شابو ، تعريب الاستاذ انطون شكري لورنس

مطبعة دير مار مرقس للسريان بالقدس ، ١٩٣٠

هو كراس عدد صفحاته ٥٢ ، فيه سلسلة مقالات نشرت اولاً في مجلة الحكمة في القدس ، تتضمن وصف اللغات الآرامية وآدابها ، مع بيان فروعها ولهجاتها وخصائصها ، وتاريخ نشأتها ، وتأثيرها في غيرها من اللغات السامية . ولما كانت امثال هذه المباحث في مهدها باللغة العربية فنبشر بظهورها ، ونتمنى لها النموّ والتدرّج من طور « التلخيص والتمحيص » الى طور التبسط والتبيان.

ف. ت.

حظيات لقمان

بقلم يوسف ناصيف ضاهر

مطبعة البريد في ريو دي جانيرو — ١٥٢ صفحة متوسطة

على لقمان ، تعلمنا في الصغر ، مع مبادئ اللغة ، اصول الحكمة البشرية والاصابة في الرأي . قد تقارب موادّ هذا الكتاب بفصولها القصيرة امثال لقمان وحكاياته ، وتبتعد عنها بتوسعها في مواضيع سطحية قليلة الخصب . وليست كامثال لقمان خلاصة التأمل الطويل والحكمة البالغة التفكير ، بل هي افتتاحيات نشرت تباعاً في جريدة البريد طبقاً لاحتياجات اليوم . على انها ترجمان لحياة مواطنينا في المهجر وصورة لاخلاقهم ، رجالاً ونساء ، اغنياء وفقراء ، ولها في ذلك قيمة خاصة : معلم القرية اللبناني اصبح مُثرياً عظيماً ، والصحافي اللبناني عاد من البرازيل وتسنم رئاسة المجلس النيابي ، الصحافة العربية كالماس يعدها الناس من الكماليات لا من الحاجيات الخ ...

هذا ولو اعرض المؤلف عن الغمز بالناس ولم يذكر اعلامهم في مواضيع الهجاء لوجدهم اميل اليه في الاتفاق معه عند البحث في الادب ، وفي تقويم معوج الاخلاق.

ف. ت.

قلعة طرابلس الشام

للدكتور اسد رستم

١٥ صفحة متوسطة

هو كراس ذكر فيه صاحبه موقع تلك القلعة الشهيرة ، وتكلم في موادها ، ومساحتها ، وتحصيناتها ، ونقوشها الكتابية ، واصل بنائها الحالي ، معلقاً مقاله على رسم جديد توفق الى وضعه بمساعدة بعض اساتذة الجامعة الاميركية وطلاب الهندسة من كلية العلوم والآداب فيها. ف. ت.

التحفة لسنة ١٩٣١

المطبعة الكاثوليكية قطع ١٢ ، ثمنها ١٥ غ.س.

اصدر حضرة الاب روفائيل نخلة ، مدير مجلة قلب يسوع ، هذه النشرة لسنتها الثانية ، وهي عبارة عن ١٢٨ صفحة مزينة بالصور المديدة محتوية على كل ما يبهج القراء ويسرهم كباراً وصغاراً ، فيها المشاكل الحسابية الظريفة ، والنكت المسلية في السهرات العائلية ، مع حكايات ونوادر وعبر ومواعظ والغاز وقصائد ونصائح مفيدة. ف. ت.

التعليم المسيحي الاعدادي للمناولة الاولى

المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١٩٣١ — ١٥ صفحة صغيرة — الثمن: ٤ غ.س.

هو القسم الاول من « التعليم الكاثوليكي » المشهور الذي نشره نيافة الكردينال غسپاري طبقاً للقاعدة التي رسمها البابا بيوس العاشر ، وتُرجم الى اكثر اللغات . وقد عرّبه حضرة الخوري بطرس غالب ، ونشر هذا القسم الاول لاعداد الاحداث للمناولة الاولى . والكراس حسن التنسيق ، مختصر جامع ، واضح العبارة ، جميل الطبع . فنحث جميع المدارس والجمعيات على اقتنائه.

* برنامج جمعية طوبيا البار الماورنية في بيروت عن سنة ١٩٣٠ * وهي جمعية خيرية مخصصة لدفن الموتى الفقراء المسلمين. بلغت وارداتها ٧٨٨٦٠ غ.س. ونفقاتها ٧٢٩٠١

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ كانون الثاني — ١٥ شباط ١٩٣١

* تلقت انحاء الشرق ، كما تلقت المسكونة جمعاء ، خطاب قداسة الحبر الاعظم ، الذي القاه يوم تدشين محطة الراديو في حاضرة الفاتيكان ، في ١٢ شباط . فالتقطته الاجهزة اللاسلكية في العالم. وسمت بيروت صوت قداسته مخاطباً سكان البسيطة اجمعين من اكليريكيين وعلمانيين ، مؤمنين وغير مؤمنين ، متمنياً للجميع الهناء والسلام والمحبة.

* لا تزال الازمة البطريركية الارثوذكسية على خطورتها ، ان لم نقل انها زادت تعقداً . وقد كان بعض المتفائلين ظنوا خيراً اذ اجتمع بعض المطارنة في دير مار جرجس الحميراء (بلاد العلويين) فانتخبوا في ٧ شباط المطران ارسانيوس حداد بطريركاً . على ان الخبر كان سيء الوقع على فريق من الاكليروس والشعب الارثوذكسي لاسيما « الكومسيون البطريركي الزمني » في دمشق ، فاحتج جميعهم في النهار نفسه ، ثم اجتمع الكومسيون المذكور مع بعض المطارنة في دمشق وانتخبوا بطريركاً المطران الكسندروس الطحان في ٩ شباط. ولا يزال البطريركان قائمين كل في جهته ، وقد شرع البعض يبذلون المساعي في سبيل التوفيق بينهما .

* صدرت ارادة ملكية بتأجيل جلسات البرلمان العراقي ٢٦ يوماً اعتباراً من ٧ شباط . والحكومة منصرفة ، على ما يظهر ، الى تشجيع المصنوعات الوطنية ، وزراعة الدخان ، وتعزيز العلاقات التجارية بين العراق وسورية.

* استقبلت فلسطين في اواخر كانون الثاني رفات الزعيم الهندي الكبير محمد علي . وقد شُيد له ضريح فخم ودُفن باعظم ما يمكن من الاكرام . وكانت هذه الحفلة رمزاً جديداً الى اتحاد العناصر الوطنية ضد الصهيونيين. ثم لم يلبث ان قدم اخو الفقيد ، شوكت علي ، فجال في فلسطين ولبنان وسورية خاطباً في الجماهير ، باللغة الانكليزية ، داعياً الى الجامعة الاسلامية ومقاطعة الاجانب . بيد انه لم يكن لكلامه الوقع المنتظر.